محمد جعباص

مُسْلِمٌ بالبِطَاقَة

الطبعة 2

وكأني أسلمت جديداً

دار دوّن

مسلم بالبطاقة

محمد جعباص: مسلم بالبطاقة، مجموعة قصصية

الطبعة العربية الأولى يناير ٢٠١٧

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢٦٩٩٨ - الترقيم الدولي: 978-977-806 -060-7

جَميـعُ حُـقـــوقِ الطَبْـعِ والنَّشرِ محْـــفُوظةٌ للناشِرِ

لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة

بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

© دار دَوِّنْ

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053

info@dardawen.com

www.Dardawen.com

مسلم بالبطاقة

#وكأني_أسلمت_جديدا

مجموعة قصصية

محمد جعباص

دَوِّن
للنشر و التوزيع

إهـــداء

علمني شيخي
أن أقرَب الطرق لوصول كلامك إلى قلوب الناس أن تحدِّث نفسك به أولا
فإن صدقت.. سيصل إن شاء الله.

أهدي هذا الكتاب

لشباب وبنات جيلي من المسلمين وغير المسلمين
وأقول لهم ستجدون أنفسكم بين سطور هذا الكتاب
وأسأل الله أن أكون صادقًا فيما كتبت .

محمد جعباص

تقديم

كتاب جميل وممتع ومثير أشبه ما يكون بمباراة ملاكمة من عشر جولات، إلا أن الفارق فى هذا الكتاب أنه يعطيك القاضية فى نهاية كل جولة، ثم تفيق لتكمل فيعالجك بالقاضية الثانية والثالثة وهكذا حتى تنتهى الجولات العشر

المدهش فى هذه الجولات العشر أنك ترى جزءاً منك فى كل جولة أو كل قصة، وكأن هذا الكتاب يقص عليك شيئا من سيرتك الذاتية فى علاقتك بربك جلَّ وعلا

هذا الكتاب فيك ومنك وإليك.. وهذا هو السهل الممتنع الذى أتحفنا به محمد جعباص

استمتع بالكتاب، وأعد قرائته بين الحين والآخر، وتكلم عنه مع مَن حولك

مهاب عثمان

معرفتش أقول لأ..

يبدو أن مأساتنا كلنا أننا أحيانا نضعف عن ملء أفواهنا بكلمة
"لا"

فيضعف فينا كل شئ بعدها.. ويبدأ التآكل فينا شيئًا فشيئا..لأننا إذا هُزمنا مرة نجعل هذا نهاية الحياة.. ونستسلم لكل هزيمة أخرى.. ونضحك على أنفسنا ونزعم ان الصدق مع النفس يستلزم لونين.. إما أبيض صاف لا شائبة فيه أو سواد داكن لا خير فيه..

حيلة ساذجة من الشيطان.. لكنها للأسف تلقى رواجًا بين الشباب.

جلست مع صديقي محمود أسأله ..كيف كانت البداية؟
رد علي بعد تنهيدة عميقة قائلا:
- يااااااه فاكر هذا اليوم كأنه أمس.. كنت سيئًا جدا.. شديد السوء.. حتى إن لدي إحساسًا بأني لا أريد تذكر ما كنت عليه وأحاول نسيان هذا الماضي بكل ذكرياته وأحداثه..
بعد أن ألححت عليه قال:
- ماشي ها فضفض معاك..
البداية يا صاحبي كانت فى أيام الثانوية العامة عندما هربت من الدرس.. كنت معتادًا في الحقيقة فعل ذلك كثيرا.. لكن تلك المرة كانت مختلفة..
كانت هذه المرة الأولى التي أقتحم فيها خطا أحمر في حياتي وأجلس على القهوة وأطلب «حجرين شيشة»..
تخيل شابا في الثانوية وهو جالس بين يدي الشيشة !

لكني في تلك الفترة كنت قد اجترأت على التدخين مع شلة المدرسة وإن كان «على خفيف»..

كنت أشرب من باب «الروشنة»..

ثم ضحك صديقي بسخرية وأكمل:

و الروشنة يا صاحبي كان لها قواعد وأسس.. وكان من أهم تلك القواعد أن تشرب الشيشة..

كان الموضوع تحديا ممتعا وجذابا لنفسي.. فتجرأت وطلبت الحجرين وشربت..

مرت الأيام وانتهيت من الثانوية بمجموع عادي دخلت به " كلية الشعب" .. كلية التجارة

و كان معي صاحبي أحمد..

كان أحمد من شلة المدرسة.. خفيف الظل ظريف النفس من أولئك الذين يسرقون قلبك من كثرة الضحك..

وجاء أول يوم في الجامعة.. ذلك اليوم الذي ينتظره الجميع..

استيقظت مبكرا وتأنقت في ثيابي ومررت على أحمد وركبنا معا الأتوبيس..

كنت فرحا.. ربما لأني كنت قد شعرت أخيرا أني

كبرت.. وربما لأن أحمد صاحبي الذي أحبه معي في نفس الكلية

كنت قد اتخذت في هذا اليوم قرارا جميلا..

سأتوقف عن شرب السجائر ولن أشتريها مرة أخرى..

كان لابد أن يعرفني الناس بعيدا عن التدخين..

لابد أن يكون الانطباع الأول جميلا..

هكذا كان تفكيري..

وصلنا الجامعة.. بدأنا في التعرف على غيرنا.. عرفت مصطفى.. شاب جديد ومعرفة جديدة واختبار جديد..

كان مصطفى يدخن فعزم علي بسيجارة..

قلت له طبعا بمنتهى العزم: لا مش بشرب

فرد أحمد صاحبي قائلا: مش بتشرب إيه !؟ خد ياعم ماتتكسفش

مددت يدي باستسلام ذليل وأخذت السيجارة..

و ياليت يدي كانت قُطعت وما مددتها..

على الأقل كنت سأكون رجلا يحترم كلمته وقراره وأستطيع أن أملأ فمي بكلمة «لا»

يبدو أن مأساتنا كلنا أننا أحيانا نضعف عن ملْء أفواهنا

بكلمة «لا»

فيضعف فينا كل شيء بعدها..

أخذتها وشربتها.. وبعدها مباشرة أكملت حلقة الضعف وذهبت فاشتريت علبة سجائر

طالما انهزمت ولم أكن على قدر كلمتي .. ثم بدأ التآكل شيئا فشيئا..

كثير من التآكل يكون لأننا إذا هـُزمنا مرة نجعل ذلك نهاية الحياة ونستسلم لكل هزيمة أخرى..

ونضحك على أنفسنا ونزعم أن الصدق مع النفس يستلزم لونين.. إما أبيض صافٍ لا شائبة فيه..

أو سواد داكن لا خير فيه..

أما التفكير في أن أقع وأقوم.. أنكسر وأنهض.. فالشيطان يجعلنا نعتقد أن هذا نفاق..

حيلة ساذجة لكنها منتشرة للأسف وتلقى رواجًا بين الشباب..

المهم..

بدأت الشلة الجديدة في التكون.. شباب وبنات.. ومصطفى..

كان مصطفى مشهورا بأنه يحب الموسيقى جدا.. وكلنا كنا نعرف ذلك.. لكنه كان يحب شيئا آخر.. شيئا أخطر.. كان مصطفى يحب المخدرات..!

للأسف نعم.. هذه هي الحقيقة التي سحبت وراءها كل الذكريات والأيام السيئة التي عشتها بعد ذلك..

كان مصطفى يحب المخدرات أكثر من حبه لعينه.. ينتمي إليها وكأنها وطنه..

لم يكن مصطفى أول من يعزم عليَّ بسجائر في الجامعة بل كان أول من يعزم علي بسيجارة حشيش !!

واختفت من لساني كلمة " لا" هذه المرة..كما اختفت في المرة الأولى

وفي غفلة مني تطور الأمر..

حجر شيشة!!

سيجارة!!

سيجارة حشيش !!

وفي هذا الطريق يا صاحبي لا يتوقف الإنسان عند شيء معين.. أو قل أنه ليس طريقا في الحقيقة.. إنما هو منحدر يهبط بالإنسان من عَلٍ.. إلى أسفل السافلين..

منحدر ليس فيه من صعود سهل..

القعدة مع الأصحاب من شباب وبنات..بنات تفعل كل شيء وتشرب كل شيء وتصنع أي شيء..

نعم للأسف كل شيء يخطر ببالك..

أحيانا نكون في " الكافيه" ونلعب "استيمشن" ويتأخر الوقت كثيرا وأجلس قلقا أطالع ساعتي.. وأنظر حولي فلا أرى عندهم أية مبالاة أو اهتمام.. الدنيا عندهم كما كانوا يقولون دائما «peace» جدا !!

كانت لنا خروجات كثيرة وكانت شلتنا كبيرة..

كنا نخرج " ونخربها" تماما..

بدأت طريق الهاوية..ومشيت في سكة «اللي يروح يا عالِم ممكن يرجع ولا لأ»..

حتى كانت المرحلة السوداء.. حين بدءوا يتعاطون البودرة..

البنت أمامي كانت تشم البودرة «وتعمل دماغ»

وأنا أيضا أحب أن يكون لي مشاركة في «عمل دماغ»..

إشمعنى أنا..؟!

تجرأت وضربت بودرة..

ومن يومها تبدل حالي تماما
لم أعد أعرف من أنا..

نحفت كثيرا وذهب جسدي كما ذهب الكثير من شخصيتي.. عرفت طريق الكذب والخداع من أجل الحصول على مال وقد كان أهلي ناس «على قد حالهم».. بـدأت أمد يدي على أشياء في بيتنا لبيعها من أجل المخدرات.. صرت مسخا لا يفكر إلا في «الكيف».. لا أفكر إلا في إشباع ذلك النداء الملعون إلى المخدر..

حتى إني إذا ضاق بي الحال تصبرت بـ "البرشام" مع أنه لم يكن يصنع لي "نفس الدماغ" التي تصنعها البودرة..

لكن المهم أنه كان يذهب بي إلى مكان آخر ويأخذني بعيدا إلى دنيا أخرى..

المهم أني كنت أخرج مما أنا فيه وأعيش في عالم الضياع والضباب..لا أفهم شيئا مطلقا..

ولم أعد أعرف عن الجامعة التي لم أعد أذهب إليها أي شيء.. كل حياتي تلخصت في الكيف وأصحابي الذين أتعاطى معهم المخدرات..

صحتي تدهورت تماما.. واكتشفوا بالنهاية في البيت

أني أنا وراء اختفاء بعض الأشياء من البيت..

إلا أن أهلي وقفوا جواري ولم يتخلوا عني.. قرروا فورا معالجتي في مصحة.. وعندما أخذوني معهم لم أمانع وطاوعتهم..

لم أكن أعرف أني سأُحجز لأن حالتي متأخرة.. لكني أيضا لم أكن أريد أن أترك المخدرات..

حجزوني في المصحة.. وبالطبع منعوا عني الزيارة..

في تلك الأثناء كان صديقي يلهث وهو يروي لي في تتابع وسرعة وكأن ما حدث له كان بالأمس.. وكانت عيناه تغيبان شاردتين أثناء الحكي وكأنه يسترجع الأحداث والأماكن التي حدث له فيها هذا.. وعندما وصل إلى جزئية المصحة تحديدا صمت مبتلعًا ريقه وتنفس عميقا ثم أكمل وهو يقول من بين دموعه التي هربت منه دون أن يدري:

أذكر صوت أمي وهي تطمئن علي بالهاتف وأنا محجوز.. وهي لا تستطيع أن تأتي لزيارتي..

كنت أترجاها أن تأتي لتأخذني من هناك.. وهي ترد بعجزها عن ذلك ..

كانت فترة كئيبة ويمكنني أن أقول إنها كانت أسوأ فترة

مرت بي ..

خرجت من المصحة وأنا عازم على الرجوع إلى المخدرات.. وللأسف رجعت.. فأعادوني مرة أخرى إلى المصحة..

ثم خرجت فرجعت للمخدرات..فأعادوني..

وهكذا..

دوائر مغلقة من الرجوع والعودة والمشاكل والغصب والألم.. لا أذكر عدد المرات التي خرجت وعدت فيها من المصحة وإليها..

وبالطبع كانت الجامعة والدراسة قد ذهبت طي النسيان فلا تسألني عن الجامعة

حياتي تدمرت عمليا..

صارت حياتي مقسمة بين مكانين..

إما في المصحة أعالج أو في الخارج «أضرب مخدرات»

لم أعد أذكر كم مرة استطعت أن أبطل فيها المخدرات قبل أن أعود..!؟

لكن حياتي تغيرت تماما.. صرت ميتا يتنفس ويتبرع بهذا النفس للمخدرات..

حتى شكل أصحابي تغير .. وقل عددهم..
كثيرا منهم مات..!
وأنا لا أتأثر ولا أبدي أي اهتمام..
إلى أن أتت الضربة القاصمة.. كان هناك موقف كلما تذكرته حزنت من نفسي كثيرا أني أوصلتها لتلك الدرجة..
صَمت وشرع يبكي وغرقت دموعه وجهه ثم استأنف من بعد ذلك الحديث قائلا:
في مرة من المرات كنت أتناول "البرشام" لأنه لم يكن معي ثمن البودرة..
كنت متعبا جدا.. وكنت أطلب من أمي ثمن البودرة.. فكانت ترفض بمنتهى الحزم من خوفها عليَّ..
لم أشعر بنفسي وأنا أضرب أمي برجلي في قصبة قدمها.. وكنت أرتدي حذاء ضخما..
ومن شدة الضربة نزلت أمي على الأرض بركبتها !!
وأنا بلا رحمة تحولت إلى شيطان وضربتها مرة أخرى في بطنها برجلي !
وأنا أصرخ وصوتي يملأ العمارة..
وفجأة وجدتني أتقيا وأفرغ كل ما في بطني..

تخيل وأنا أتقيا.. أقعد على الأرض وأخرج كل ما في بطني كنت مشغولا بالبحث فى هذا القيئ عن "البرشام" الذي "ضربته" منذ قليل لآخذه مرة أخرى !!

وجدت أمي تنحني علي وتقبل رأسي وتبكي وتقول لي.. ليه كده يابني..!؟

أمي التي ضربتها منذ قليل !!

لا أقدر أن أنسى صوتها وهي تقول لي.. ربنا يشفيك يا ابني..

وكأن هذه الدعوة التي خرجت من قلبها بدموعها وجدت لها سبيلا إلى العرش..

ساعتها أحسست لأول مرة أني مريض..

وقررت العلاج بصدق وعزم..

نزلت من البيت أستجمع كل ما تبقى مني على قرار.. لابد أن أتعالج .. ولابد أن أترك المخدرات..

لكن.. نفسي غلبتني وقالت لي.. مرة واحدة بس وبعدين بطل..

ذهبت إلى مصطفى .. ووجدت معه بودرة..

وقعدنا.. و«ضربنا البودرة»..

وكان أول مرة لا يطلب مني ثمن البودرة.. ولا أدري

لماذا ؟

نزلت لأرجع إلى البيت ونزل معي مصطفى..

وفجأة لم أشعر بنفسي..

وجدتني في اليوم الثاني صباحا مرميا في الشارع والناس حولي يحسبونني ميتا !

فتحت عينيَّ ونظرات الرعب فى عين كل الناس !

كنت قد وقعت على الأرض من الشرب وأنا بجوار صاحبي..! الذي كنت أحسبه صاحبي.. ربما لم يحس بي.. أو ربما أحس " وطنش" وذهب لا يبالي..

حملني الناس إلى مستشفى صغير بجواره مسجد.. وكأنها رسالة من الله..

شفاء الجسد وشفاء الروح متجاوران..!

وجدت أمي دخلت علي وهي تعرج في مشيتها من ضربتي لها..

وهي تبكي وتقول.. " كنت هتموت وتروح مني" ؟!

وتقبل يدي ورأسي وتدعو لي..

يارب اعف عنه وعن كل مريض وخد بإيده يااارب

وهنا سمعت صوت الأذان فى المسجد المجاور..

أيقنت أن الله أحياني من جديد ووهبني فرصة لن تتكرر..

وقررت في هذا اليوم أني أتوقف تماما تماما..

أن أرجع إلى الذي أحياني وأمهلني وحلم علي وسترني..

ومن ذلك اليوم وأنا شخص آخر تماما.. بكل تأكيد لم يكن الموضوع سهلًا تلك المرة إلا أن إرادتي لم تكن أيضا هينة ككل مرة.. كنت شخصا غيري بعد ذلك الموقف..

صرت أتقي الله في أمي وفي أهلي.. ألتزم بالفرائض والتزم بدراستي حتى انتهيت من الجامعة ..

و صرت أعمل محاسبا وأنتظر رفيقة العمر..

ثم ختم كلامه قائلا :

«لما رجعت لربنا عرفت أن ربنا كريم أوى»

و هى دى كانت البداية يا صاحبي.

***

ليه أقابل ربنا وأنا خايفة ؟

هكذا كنت أسأل نفسي..
لم أكن سعيده نهائيا.. هناك شيء آخر.. لكن ما هو؟
لم أكن أعرف.. أبحث عن حياة أجمل.. وكان فى روحي عطش.. أريد ربي سبحانه.

القصة مأخوذه عن مداخلة تليفونية لـ (حلا شيحة) فى أحد البرامج.

كنت ممثلة كما يعرف الناس..
عندي كل ما أتمناه في حياتي.. الشهرة.. المال.. القدرة على السفر وقتما أريد..
حياة فيها كل ما تتمناه أي بنت..
لكنني لم أكن سعيدة نهائيا !!
أحس بالغربة دائما..
لم أكن أحس أني أنتمي للوسط الفني..
كنت خائفة جدا من الغد.. لا أدري ماذا فيه ؟
أحس وحشة من المستقبل إذا بقيت هنا بعيدة عن الله..
ولا أعلم ما خاتمتي ؟
ممثلة أنا.. مشهورة ثم ماذا ؟!
هكذا كنت أسأل نفسي.. ما نهاية هذه الشهرة ؟
لا أحس أن هذه هي الحياة التي خُلقنا من أجلها..

أحس أن هناك حياة أجمل.. حياة لها طعم ونور وجمال

هناك شيء آخر..

لكن ما هو ؟

لم أكن أعرف..

كل الذي أعرفه أني مختنقة في كرب شديد، دائمة البكاء وحدي..

حتى إن أبي وأمي كانا يدخلان عليَّ الغرفة لتهدئتي.. مالك يابنتي فيه إيه ؟!

«مكنتش عارفة»

هناك شيء ناقص..

أكيد ربنا لم يخلقني لأكون تعيسة هكذا !!

وفى ليلة رأيت في منامي أني في أرض المحشر يوم القيامة.. والناس كلهم مجتمعون للحساب

وجاء دوري..

نـادت عليَّ الملائكة.. ألست الفنانة المشهورة المحبوبة؟!

كنت خائفة جدا.. لأني صاحبة ذنوب وأخطاء وحياتي لم تكن صحيحة..

بدأت أستفيق لهذه الذنوب.. لقد وجدت أني أرتكب ذنوبا كثيرة..

استيقظت مفزوعة من هذه الرؤيا..

وظللت ثلاث ليال لا أنام..

حتى لو نمت كنت أدع باب الغرفة مفتوحا وأنام نوما مغموسا في القلق لا أجد راحة ولا سكينة

لم أكن وقتها أربط بين الرؤيا وعلاقتي بالله..

لكن في اليوم الثالث رأيت رؤية أني واقفة أمام باب حجرتي أمسك المصحف وأقرأ سورة يس بصوت جميل

استيقظت ومعي قلبي..

وتغيرت حياتي ١٨٠ درجة..

لم أكن أصلي ولا أهتم بالصلاة.. فقمت فتوضأت وصليت

كانت أول صلاة فى حياتي..

صليت العشاء وفى آخر سجدة لي ظللت قرابة نصف ساعة أبكي وأتكلم مع ربنا..

أحسست أن هنالك فتحًا..

دعوت دعاءً ما دعوت مثله في حياتي بكلام ما قلته من

قبل !!

حكيت لربي كل شيء.. واستغفرت من كل شيء فعلته صغيرة أو كبيرة..

قمت من سجودي كأني اغتسلت ولبست إنسانة أخرى

ونمت كأني كالملائكة.. سكينة وطمأنينة وراحة

واستيقظت إنسانة أخرى تماما..

عرفت حينها الحياة الطيبة التي يريدها الله..

ولما بدأت أصلي أحببت الصلاة جدًّا.. صرت أصلي كثيرا..

كان في روحي عطش.. أريد ربي سبحانه..

ختمت قراءة القرآن بتدبر وتفهم..

أحسست أن ربي فتح عليَّ وهذا قواني في الاستمساك بالطاعة..

بعدها بفترة ارتديت الحجاب..

ثم خلعته بعدها بفترة قليلة..

وكانت هذه مرحلتي الأولى..

لم يكن عندي علم.. والعلم ينير القلب والروح..

وليس عندي صحبة.. والصحبة تؤازر الإنسان وتعينه..

أنا أحب ربنا..

لكن ليس هناك من يعينني..

بل تكاثرت العوائق والضغوط علي.. من الأهل.. الأصحاب..

لعل أعز صديقة وقفت معترضة على ما فعلته !!

حاصرتني الضغوط فضعفت.. ولم يكن عندي علم فخلعت الحجاب ورجعت للتمثيل..

والنفس تريد الدنيا والشيطان يوسوس ويعين..

لكن سبحان الله.. طول الوقت كنت متمسكة بالصلاة جدًا ولم أغلق ذلك الباب الذي بيني وبين الله أبدا حتى بعد خلع الحجاب..

استمرت هذه الفترة ثلاث سنوات.. لم أترك الصلاة..

حتى لو تأخرت عنها كنت أصلي كل الصلوات.. لا أترك يوما بغير صلاته..

لكني بعد خلع الحجاب لم أكن مرتاحة..

رجعت إلى الغربة نفسها والوحشة أشد مما كانت.. وقد كنت عرفت أن ما أفعله باطل.. وعرفت الصواب من الخطأ..

لكن لأني كنت وحدي رجعت للتمثيل..

لكن ربنا كريم جميل..

ودود جدا.. يتودد لعباده جدا.. ربنا عظيم ربنا غفور..

«يعني الواحد يعمل ذنبًا.. أقل ذنب أو أكبر ذنب.. أي ذنب»

وبس يقفل باب أوضته ويتوضأ ويسجد سجدتين لربنا سبحانه وتعالى ويطلب من ربنا إنه يغفر له ..

ربنا يغفر له..

وممكن يكون غفر له من قبل ما يدخل الصلاة ..

هو أذن له أن يتوب.. وربنا بابه كبير وواسع وعظيم ..

«أنا حبيت ربنا سبحانه وتعالى جدا فى كل حاجة بيفعلها معايا.. وهدايتي وطريقي فى الهداية»

حاسه إن ربنا أد إيه معانا.. بيحبنا.. وأد إيه شايفنا وسامعنا..

متخافوش من طريق ربنا.. أجمل طريق فى الدنيا.. وهو الطريق الوحيد اللي هيوصلنا إن شاء الله للجنة..

وهيوصلنا إننا نشوف ربنا سبحانه وتعالى..

ورجعت لبست حجابي..

المؤمن اللي بيحب ربنا حب حق مش هيحس بأى عوائق ..

متخفش من ربنا.. ومتمشيش عكس الاتجاه..

تعالوا لربنا..

ولما بعدت عن الطريق هذه المرة أغلقت خلفي الباب.. كنت أخاف الفتنة والضعف..

ودعوت الله عز وجل بالزوج الصالح الذي يعينني على طاعة الله..

وبعدما رجعت لحجابي بسنة تقريبا جاءتني عمرة وسافرت أنا ووالدي..

وكنت من قبل السفر وأنا أحب شكل النقاب وسمته.. أحسه قريبا من قلبي..

فلما ذهبت إلى العمرة كنت أدعو في المسجد النبوي وأسأل ربنا..

يارب حجابي ده يرضيك؟

يارب لو النقاب هو اللي هيرضيك حببه ليا.. واجعلني من أهله.. وكنت باستخير ربنا كتير ..

حبيت النقاب..

وكنت بحس بعزة وأنا لابسه نقابي.. بحس إني ملكة..

وجربت ألبس النقاب وأنا هناك فى العمرة.. لكني انتقبت بعد رجوعي بفضل الله ..

بس كان صعب عليا فى الأول إني أقول لأهلي إني اتنقَّبت مش عاوزه أزعلهم..

هما مش حاسين اللي أنا حساه دلوقتي

فقعدت فترة مقولتش ليهم إني اتنقَّبت.. بس بعد كده طبعا عرفوا لوحدهم ..

ولما عرفوا.. أنا بوست إيد والدي.. قعدت تحت رجله وبوست إيده.. وقولتله أنا بحبك جدا بس أنا مش هقدر أغضب ربنا.. وأنا عارفة إن دي حاجة ربنا بيحبها..

وكان بعدها بعض الصعوبات..لكن لأن كان والدى يحبني مرت..

وكان يقول لي ادعي لي..

وبعد النقاب بفترة قليلة جدا..

كنت فى مجلس ورجعت على البيت جرى لي حادث ودارت بي السيارة أكثر من مرة..

لكن أنا الحمد لله لم يحدث لي أي شيء..كنت أحس

أن هناك من يمسكني بداخل السيارة !! كنت أحس أن ربنا معي.. يحفظني.. كنت أحس أن هذا تطهير..

وبعد المحنة تأتي المنحة..

وهى زوجي يوسف..

كانت هناك بعض العقبات لأنه كان ملتحيا وكنت أخاف رفض أهلي له..

لكن كان هناك قبول من أبي..

وهذا بفضل الدعاء.. الدعاء كان له أعظم دور والحمد لله ربنا يسر لنا الموضوع وكان فيه بركة ربنا كريم ومنان..

وعاوزه أقول للبنات متخافوش إن الحجاب يأخر الزواج

الزواج ده رزق.. والرزق بيجي في معاده ..

سواء كنتِ محجبة.. مش محجبة.. منقَّبة مش منقَّبة

بس لو عاوزه حياة طيبة خليكِ قريبة من ربنا..

لما نكون ماشين فى طريق ربنا وعندنا يقين جدا فى الله ربنا بيسبب الأسباب ..

متعيشوش الدنيا كده وخلاص زى ماتيجي تيجي..

فكروا قبل كل خطوة..

هو ربنا خلقنا ليه ؟
دى رسالة أنا أوجهها للبنات..
فكروا وتدبروا فى كلام ربنا سبحانه وتعالى
وإيه المعاني الطيبة اللي موجودة فى القرآن الكريم ؟
أكيد هتلاقي حياتك اتغيرت وربنا راضي عنك
وقولي لنفسك.. ليه أقابل ربنا وأنا خايفة ؟

***

كشك محروس

وجد رسالة فى بريده..فتحها.. فإذا بها سطر واحد..هزه ذلك السطر كما لم يهزه شيء فى حياته..

مـاذا كان يحمل هذا السطر الصغير الذي وللعجب يعرفه جيدا ويعرف كلماته ويعرف معناه؟!

محروس شاب من الأقصر صاحب بشرة سمراء وقلب أبيض كأهل الأقصر الطيبين..

وكانت البسمة لا تفارقه.. وكان أهل الأقصر يلقبونه بـ«محروس الخواجة» لأنه كان بارعا في الإنجليزية..

كان مع بساطة عمله يحبه جدا.. فما عمله ؟

يقف في كشك صغير جوار أحد المتاحف بالأقصر.. يبيع فيه أشرطة للأغاني الأجنبية..

يمر السائح به فيضع شريطا فيه الأغنيات التي يحبها السائح وتذكره ببلده فيشتري منه ..

كما يفعل المصريون الغلابة الذين يكونون في الغربة ويسمعون أغنيات «الست» تذكرهم بمصر والحنين إليها

ظل الأمر يمضي هكذا..

حتى جاء يوم لا ينخلع من ذاكرة محروس أبدا..

كان في عالمه الخاص ومملكته المتواضعة «كشك محروس»

وأقبلت عليه فتاة أجنبية يدها في يد حبيبها والتوتر على ملامحهما..

فقالت له بلغتها.. أريد موسيقى هادئة تريح الأعصاب..

وبدأ محروس يبدل بين الأشرطة أملا في الوصول إلى ذوقها الذي تريد من الأغاني الهادئة..

لكن لم يكن يعجبها شيء..

كرر وبدل والرفض كان موقفها دائما !!

غلبه عِرقه الصعيدي وتضايق وخبط المسجل بيده ضيقا وغضبا من كثرة رفضها وتعبه في البحث عما يرضيها..

كان غضبه مفتاحا سماويا..

لم يدر أن يده ستأتي بالغلط على زر الراديو وكان الراديو مضبوطا على إذاعة القرآن الكريم التي يفتتح بها محروس يومه في «ساعة الاصطباحة»

خرج القرآن من الراديو وتحول الراديو عندها إلى قطعة من الجنة.. صوت الشيخ المنشاوي يدخل في القلوب ويحدث فيها أثرا لا يوصف ..

الفتاة تغيرت ملامحها فجأة !!

السكون خيم على المكان..

ذهب الغضب الذي كان في محروس..

سقط التوتر الذي كان في ملامحها..

قطع السكون صرخة الفتاة بلهجة فرحة وكأنها وجدت ضالتها المنشودة

هذا هو! هذا هو ما أريده..

هذه هي الموسيقى التي أبحث عنها..

محروس في غمرة الذهول والدهشة والصمت..!!

قال لها بعد وقت كأنما أفاق وهو يهز رأسه..

«دي مش موسيقى.. ده قرآن.. اللي انتي طالباه مش ده خالص»

قالت له.. لا يهم.. هذا ما أريده حالا أنا في حاجة إلى سماع هذا الكلام ..

سأدفع لك المبلغ الذي تطلبه مقابل الحصول على هذا الصوت الذي سمعته الآن ..

إحساس غريب ملأ جسد محروس بالبرودة والقشعريرة.. والخجل..

هذه أول مرة يحدث معه هذا الموقف.. هو لا يملك غير حبه الفطري لدينه والغيرة عليه..

فبدأ يقول لها دون علم..

القرآن ده مينفعش تسمعيه وانتي مش مغطية شعرك..

لم يكن كلامه صحيحا..

لكن هكذا قال لها حتى إنه كان مترددا.. هو أنا ينفع أبيع لها شريط فيه القرآن وهي..؟!

ولكن صدقها جعل رد فعلها غريبا..

سحبت المفرش الذي كان على مكتب محروس ووضعته على شعرها لتستر ما استطاعت ستره

ثم قالت له..

ها أنا ذا غطيت شعري..

تأثر محروس جدا وذهل أمام إصرارها..!!

لكن قال لها بعفوية..

برضو مش هينفع.. لأنك ممكن تسمعيه وأنتِ فى وضع لا يليق مع القرآن

بلا تردد نزعت يدها من يد حبيبها.. وابتعدت قليلا عنه ولسانها لا تفارقه عبارة واحدة..

أحتاج هذا الكلام !!

لم يكن عند محروس شريط من أشرطة القرآن..

طلب منها المرور عليه فى اليوم التالي

انصرفت الفتاة وفى عينها لمعة الاشتياق للقرآن الكريم رغم عدم فهمها له..

لكلام الله سطوة عجيبة بالقلوب حتى لو لم تفهمه..

أقبل الصباح وأقبلت باكرا..

فوجدت محروس قد أحضر لها عدة أشرطة ورفض أخذ المال منها

غير أنه سألها..

ما اسمك ؟ ومن أين أنت ؟

قالت.. اسمي ماتيلدا من بريطانيا ..

فطلب منها طلبا وحيدا وهو أن تترك له الإيميل الخاص بها..

وافقت ماتيلدا وتركت محروس ومعها ما كانت تحرص عليه..

معها القرآن العظيم..

لم يتوقف محروس عن التفكير فيما حدث وبدأ

يتصل بكل من يعتقد من أصحابه أن له علاقة بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام..

وجعل يجمع بعض الكتب ويرسلها إلى ماتيلدا..

ظل على هذه الحال ثلاثة أشهر..

كلما حصل كتابا أو مقالا أو رابطا نافعا أرسله فورا إلى ماتيلدا..

ولا رد يأتيه..!

وفي يوم وجد رسالة فى بريده..

أخيرا.. ياه..

كانت منها..

فتحها فإذا فيها سطر واحد..

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله

هَزه ذلك السطر كما لم يهزه شيء في حياته..

هِزة عنيفة كان يحملها هذا السطر الصغير الذي وللعجب يعرفه جيدا ويعرف كلماته ويعرف معناه..

لكنه كأنه لأول مرة يتعرف إلى هذه العبارة المقدسة..

كان جلال العبارة وروعة المفاجأة وصدق الفتاة..كل هذه كانت عوامل أحدثت زلزالا شديدا في نفس محروس..

غَيرته من شخص هدفه محدود بالكشك الذي يبيع فيه إلى شخص آخر تماما صاحب رسالة..

لقد كان انفعال «ماتيلدا» صفعة لقلبه الذي يحيا في بلد مسلم ويسمع كلام الله تعالى.. كل يوم ..

لم يكن يجد مثل هذا الأثر الذي أحدثته دقيقة أو أقل في قلب «ماتيلدا»

وما زال وهو المسلم يدين بالفضل لتلك الفتاة التي جاءته قدرا لتغير حياته كلّها.

***

٢١ يوما..!

لم أر شكل المصحف..!!

ليس لي علاقة بالإسلام سوى أني مسلمة ككثير من المسلمين فى أوراق الهوية..لم يكن الدين شيئا مهما عند أبي وأمي..تذكرت أن هناك فى أعماقي علاقة منسيه مع الله !!

ممكن ربنا يغفر لي ٢١ سنة بـ ٢١ يوم بس ؟

في أحد أيام شهر رجب وصلت رسالة إلى أحد الدعاة على الموقع الخاص به على الإنترنت ..

لكن لضيق الوقت وكثرة الرسائل.. لم يكن يبصر رسائله الكثيرة..

في ذلك اليوم كان هذا الداعية متوجها من لبنان إلى لندن..

قرر تأجيل قراءة الرسائل حتى عودته من السفر..

وضع على المكتب كل الرسائل التي طبعها فوقعت الرسائل كلها دون قصد وتداخلت الأوراق..

ووقعت عينه على ورقة مكتوب فيها..

اسمي سارة.. فتاة لبنانية ..

هاجر أبي وأمي من لبنان إلى نيوزيلاندا منذ كنت في العاشرة من عمري..

ومن يومها انقطعت كل علاقتي بالإسلام والقرآن وبالله تعالى..!

لم أر شكل المصحف منذ سافرت من لبنان !

ليس لي علاقة بالإسلام سوى أني مسلمة ككثير من المسلمين في أوراق الهوية..

لم يكن الدين شيئا مهما عند أبي وأمي للأسف ..

سافرنا إلى نيوزيلندا..

عشنا هناك سنين طويلة ولم أرجع إلى لبنان أو الشرق الأوسط لأن أجدادي ماتوا ولم يعد هنالك سبب للزيارة أصلا..

كانت الحياة صعبة لأن أبويَّ كانا قاسيين جدا..

انفصل أبي عن أمي وتزوجت أمي بعده رجلا آخر.. وأبي تزوج أخرى..

واستقل كل واحد منهما بحياته..

وأنا..؟!

لا وجود لي !

شعرت بالغربة بنسبة ١٠٠٪

الأشد من ذلك.. أن أبي وجد عملا خارج نيوزيلندا

وأمي كذلك جاءها عمل مع زوجها..

وبقيت وحدي في الغربة !

وحدي في مجتمع غربي تماما..!

فانقلبت إلى فتاة غربية..

لي «boy friend» يعيش معي نفس البيت من سنين وعلاقتنا قوية جدًّا..

اضطررت للعمل في بار بعد الظهر حتى أنفق على دراستي وسكني ونفسي..

أستطيع القول.. إنه لا ذنب تقريبا في الدنيا لم أفعله

وهبني الله جمالا..

فكان ذلك باب فتنة أخرى

دخلت مسابقة ملكة جمال نيوزيلاندا وفى المقاطعة التي أنا فيها فزت بالمركز الأول وصرت ملكة جمال المقاطعة

وفى خلال الشهرين الآتيين سأدخل مسابقة ملكة جمال نيويزلاندا.. ولو ربحت سَأُصَعَّد إلى مسابقة ملكة جمال العالم عن نيوزيلاندا

انقلبت حياتي طبعا وصارت أكثر صخبا وضجيجا..

صرت موديل إعلانات وعلى صفحات المجلات..
لقد انتهت هكذا كل علاقتي بالإسلام
إلى أن جاء يوم كنت أزور فيه عائلة لبنانية في نيوزيلندا..
كانوا يفتحون التلفاز على قنوات الشرق الأوسط..
كجانب من الارتباط الروحي يذكرهم بأصولهم..
كان في التلفاز داعية يتحدث عن شيء نسيته..
فقدته ذاكرتي..
سقط مني في زحام الكاميرات والذنوب والكبائر
يتحدث عن الدين.. وعن العفة
أحسست أني عارية وأني لست فتاة محترمة..
تذكرت أن هنالك في أعماقي علاقة منسية مع الله !!
أحسست أن زيارتي لهؤلاء الناس كانت زيارة لسارة الحقيقية..
كانت زيارة لذاتي..
لنفسي..
أحسست أن الله حملني إلى هؤلاء الناس الذين زرتهم لأعيش جوا عائليا افتقدته..
فأنا منذ خمس سنين لم أر أبي أو أمي..

وانا أشاهد الحلقة قرأت اسم الموقع وبعثت لك هذه الرسالة.. أنت كنت المتحدث..

وأريد أن أسألك بعد أن حكيت لك كل شيء..

ممكن ربنا يقبلني ولا لأ ؟

ممكن ربنا يسامحني ؟

كانت هذه رسالتها..

فرد عليها سريعًا.. طبعا يقبلك وطبعا يسامحك وطبعا يغفر لك ويعفو عنك، ربنا هو الذي يغفر ويسامح ويعفو ويقبل التوبة ..

طلب منها سماع درس التوبة من موقعه وأي درس آخر تريد سماعه اسمعي على قدر وسعك وربنا أكيد سيقبلك بإذن الله ..

بعد يومين.. يقول الداعية..

وجدت رسالة من سارة تقول.. أنا تركت البار لأني لا أريد فعل الحرام..

ثم بعد يومين أرسلت ثانيا..

كان هناك ذنب كبير أفعله.. أنا كنت أشرب الخمر.. لقد توقفت..

بعد يومين أرسلت ثالثا تقول بعفوية..

أنا سمعت درس التوبة وحاسة إني عاوزة أرجع لربنا وأتوب ..

بس عندي مشكلة.. أنا ما أقدرش أسيب البوى فرند بتاعي أبدًا.. لكن هحاول..

بعد يومين.. بعثت تقول.. أنا سبت البوي فرند بتاعي..

وهكذا كل يومين يكون منها جديد..!

كانت تهرول إلى الله كأنها تسابق الزمن..

طلب منها ذلك الداعية أن تتصل به هو وزوجته، تكلموا معها بالعربي وكان كلامها عربيا مكسرا..

سألها..كم سنك؟

قالت.. ٢١ سنة

بعد يومين.. بعثت رسالة غريبة تقول..

ممكن تبعتوا لي الفاتحة عشان أعرف اقرأها.. أنا معنديش مصحف..!

بعث لها الفاتحة ..

بعد يومين.. بعثت سارة تقول..

أنا نفسي أتعلم الصلاة.. ممكن تعلموني ؟

فبدأ الداعية هو وزوجته يعلمانها كيف تصلي..
ودلها الداعية على موقع في الإنترنت تستطيع من خلاله تعلم الصلاة ..
بعد يومين.. سارة أرسلت.. أنا بدأت أصلي..
هذا أسعد يوم في حياتي..
لقد وجدت الشيء الذي أبحث عنه منذ عشر سنين..
"أنا لقيت ربنا"
بعد يومين.. بعثت تقول.. ممكن تبعتولي شرايط قرآن عشان أسمعها أنا معنديش شرايط قرآن فبعث لها روابط ومواقع..
بعد ثلاثة أيام لم تتصل..
ثم اتصلت وقالت.. لقد حفظت سورة النبأ
بعدها بيومين.. أنا حفظت سورة الرحمن
بعدها بيومين.. أنا نفسي أتعلم سورة يوسف
بعدها بيومين..أنا بقيت بصلي قيام الليل
أنا بقيت بستنى الليل عشان أصلي بسورة الرحمن
أنا بافضل أسمع القرآن كتير لغاية ما أحفظ ..
أنا متأثرة بالقرآن جدا وحاسة بكل آية أسمعها

بعد يومين..

أنا عاوزه أتحجب..

وكان رأي الداعية أن لا تستعجل لأنه كان يرى كثيرا من البنات يتحمسن للحجاب ثم يخلعنه !

أما رأي زوجته فكان في أن تلبسه طالما هي رغبتها وهي تريد ذلك

لكن قالوا لها.. لا تتعجلي

فردت سارة بكلمة غريبة.. مش قادرة أستنى..

أنا فى حاجة جوايا بتناديني لربنا..

وتحجبت سارة التي كانت تعد نفسها لتشارك في مسابقة ملكة جمال العالم..!

دخلت إلى الله بشوق.. بلهفة.. بحب جارف للطهر والنور والحياة..

فبعثت إليهما تقول.. أريد أن أعمل شيئا للإسلام..

وأنا لا أعرف مسلمين غيركما.. فهل من الممكن أن أشارككما شيئا للإسلام ؟

فرحوا..

ثم تبع ذلك.. يوم.. فاثنان.. فثلاثة.. فأربعة.. فأسبوع..

انقطعت أخبار سارة ولم تعد تتصل..

ثم اتصلت وأخبرتهم أنها كانت مريضة جدا..

وأفصحت عن سر مرضها أنها أجرت عملية تجميل معينة لتستطيع العجلة في المشاركة بمسابقات الجمال وكان الأطباء حذروها من مضاعفات العملية.. لكنها أصرت..

تعبت جدا وذهبت ووجدت أن تشخيصي يؤكد إصابتي بالسرطان..!

وأن بقائي سيكون أياما !!

وأن الحل في تدخل جراحي ونسبة النجاح قليلة جدا..

وربما لو لم أصنع العملية أصاب بالشلل..

بدأت تفكر هل تقبل بالعملية الجراحية أم تلملم ما تبقى منها وترجع إلى لبنان ؟؟

يتردد في خاطرها.. أرجع إلى لبنان وأعيش وسط الناس وأعمل شيئا للإسلام..أم أدخل العملية لأكون أكثر قوة وطاقة وعافية..

قررت دخول غرفة العمليات..

وقبل دخولها إلى العمليات كان يشغلها سؤال:

ممكن ربنا يغفر لي ٢١ سنة بـ ٢١ يوم بس ؟
كان هذا ما يشغلها ويشغلها أنها لم تصنع شيئا للإسلام..
وكانت تردد.. أنا مش عارفة هاعيش ولا لأ..
أنا ليس عندي غير بضعة أشرطة أرسلتموها لي..
أنا سأهديها إلى صديقة لي وأرجوها في الحفاظ عليها فهي غالية عليَّ جدا وهذا هو ثوابي
سأجعلها لا تعطي الشريط لأحد حتى تشترط عليه أن يسمعه
وبجهد قالت..
"أنا مش عاوزه أفرط فى الحاجات القليلة اللي بقيا لي آخد بيها ثواب"
دخلت سارة المستشفى..
وأجريت لها العملية يوم ٢٦ سبتمبر الموافق الجمعة أول يوم فى شعبان
توفيت سارة التي كانت تستشعر ربما أن أيامها معدودة..
فأقبلت إلى ربها تهرول وتسابق الزمن
رحمها الله..
صلوا عليها يوم الجمعة صلاة الجنازة وكان هذا من

رحمة الله بها لأن المساجد كان نادرا ما يتجمع فيها أعداد كبيرة من المسلمين إلا في يوم الجمعة

في ذلك اليوم..صُنع لسارة خمس عمرات عنها..

رحمة الله على سارة.. صاحبة العمر القصير والقلب الكبير.

***

مش عايز غلطة !

كانت البداية فى رحلة..أعطي جسدى كل شيء
ولا أعطي روحي أي شيء..
وكان نزولي المسجد للمرة الأولى يوم جمعة..
لكن هنالك صعوبات قابلتني..!
جهل الناس بالدين أذاني كثيرا.

أنا يوسف..

إيطالي الجنسية من أصل كندي

تربيت في الإسكندرية بمصر ودرست بمدرسة أمريكية..

كانت خطة حياتي أن أتعلم في المدرسة الأمريكية ثم أرجع إلى كندا..

بس لكني كنت متعلقا بمصر فبقيت بها..

كنت مثل كثير من الشباب يغلب عليَّ الطيش..

لا أحسب حسابا لأفعالي وأعمل ما أريد.. أذهب إلى أي مكان أريد..

كان كل شيء متاحا أمامي.. الأهواء والشهوات والملذات..

لكن كانت البداية في رحلة..

كنت فى نويبع.. جالسا وليس في بالي شيء إطلاقا
كل ما أفعله أني أفر من دنيا ذاهب لدنيا..!!
كان البحر أمامي.. ومن ورائه جبال سيناء..
ألهمني الله تعالى بشيء جعلت أفكر فيه..
هذا البحر حدثت به المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام فانشق البحر بضربة عصاه..
ومن ورائي جبال عظيمة شاهقة.. خلقها الله..
وهنا كلم الله موسى عليه السلام..
كيف أمر أنا بقلب معتم ونفس تريد العصيان من هذه الأماكن الشريفة ؟!
جلست أفكر فوجدت أني جسد وروح..
أعطي جسدي كل شيء ولا أعطي روحي أي شيء..
روحي ظامئة عطشى..
ولا أعرف ما الحل ؟
كنت أتركها متعبة وأظل أشكو من الاختناق الذي أشعر به ولا أدري سببه ؟
ليس عندي وسيلة غير الدنيا..
كنت أقول لنفسي وأنا بين آيات الله..

طيب أنا عملت إيه لربنا ؟ وهو ربنا أساسا فين فى حياتي؟

مش موجود إطلاقا !!

رجعت إلى الإسكندرية.. واتخذت قرار التغيير التام والإقبال على القراءة والتعلم من ديني لكي أكون قريبا من ربي الذي خلقني ولا أعرفه.. ولطالما كنت بعيدا عنه..

بدأت أقرأ وأسأل وطال الموضوع معي شهورا لأن الكتب كانت كبيرة وكنت أحس بتوهان فأرجع أسأل مرة أخرى

لم أجد ما أرتاح إليه..

لم أجد جوابا ولم أجد شيئا يليق بربي..

ولأنني ليس عندي منهج ولا أعرف ما الصواب من الخطأ تهت مرة أخرى

سافرت بعدها بفترة إلى إنجلترا..

وهناك سألت نفسي.. هو أنا ليه مفكرتش فى الإسلام ؟

رغم إني عايش فى مصر طول عمري..

وعندي احترام لدين الإسلام..

كنت عندما أخرج بالسيارة مع أصحابي وأسمع الأذان

أخفض صوت الأغاني احتراما لاسم الله ..

أتذكر وأنا صغير أني لما كنت ألعب مع أصحابي الكرة في الشارع ثم يدخلون المسجد يغسلون وجوههم ويشربون..

كنت متشوقا جدا أن أدخل معهم..

أن أشم رائحة المسجد والصلاة..

لكني أعرف من أنا وما ذلك المكان.. فلا أدخل..

رغم أني كنت أحب جدا دخول المكان وأحترم دخولهم خمس مرات كل يوم للوضوء والصلاة..

كنت أقدر هذه الأمور جدا في أعماقي ..

حتى إني كنت أصوم كثيرا مع أصحابي في المدرسة وأحس أن الصيام شيء طيب..

كان هذا دوما في قلبي..

لكني لم أفكر في الإسلام إلا وأنا في إنجلترا !

كنت أتكلم العربية "على قدي".. لكن لم أكن أعرف القراءة أو الكتابة بالعربية لأن المدرسة كانت تعطينا أشياء يسيرة جدا من العربية لا تقيم شيئا ولا تعلم شيئا..

سبحان الله..

ذكرني الله أن عندي صديق لديه نسخة من القرآن مترجمة المعاني..

فقلت له.. أريد النزول إلى مصر والقراءة فيها

وبالفعل رجعت مصر قبل رمضان بثلاثة أشهر وأنا من صغري أدرك أهمية رمضان في الإسلام..

تولدت عندي رغبة في قراءة المصحف قبل رمضان بشدة..

فإذا اتخذت قرارًا وكان هناك خير فيكون رمضان فاتحة الخير وأدخل في الأمر دخولا طيبا في وقت مبارك..

وكان أهم شيء يشغلني وأنا أقرأ القرآن أن لا أجد خطأ..

لأن ربي الذي أعبده لابد وأن لا يخطئ وأن لا يكون متناقضا..

هذا هو الإله الذي أريد عبادته..

إله قوي يكون كل كلامه صدقا وحقا..

وكان يصحبني وأنا أقرأ شيطان لا يريدني أن أرتاح.. هو سعيد بحالتي هذه..

كنت أقرأ القرآن لأفتش عن خطأ..

لم يكن بالطبع عندي علم.. فإذا قرأت آية فهمتها خطأ

كان يساعدني أن المعاني مترجمة بالإنجليزية..

فكانت المعاني واضحة أكثر وكانت الأحاديث توضح لي أكثر وأكثر..

وأحيانا كنت أكمل القراءة فأجد الإجابة عن سؤالي في آية تالية أو سورة أخرى بعدها بصفحات..

فأرتاح..

سبحان الله..

فور ختمي القرآن قررت أن أسلم وقلت.. هذا هو الحق

سبحان الله في القرآن سر غريب

وربنا تعالى يطالع قلب العبد ويعلم ما به..

أذكر لما كنت فى إنجلترا كنت أناجي ربي وأقول.. اهدني للحق يارب أريد أن أكون عبدك.. أريد أن أكون من عبادك الصالحين..

كنت أقول هذا صباحا وقبل أن أنام

لم أكن أدري كيف أعرض الأمر على أهلي وبأي شيء أبدأ.. لاسيما والدتي التي كانت على نفس ديني قبل أن أسلم..

وكنت أسلمت بيني وبين نفسي ولا أعرف ما الإجراءات

التي تتبع هذا..

فسألت وقالوا لي لابد أن تشهر إسلامك حتى إذا ذهبت إلى المسجد يكون معروفا أنك مسلم

لكن كان هناك شيء أريد عمله قبل إشهار إسلامي..

وهى "إني أعبد ربنا صح.. عبادة صحيحة"

وكان لي صديق جزاه الله عني خيرا علمني الصلاة والأذكار وسهر معي الليل نصلي..

في تلك الفترة كل الذي كنت أفعله الصلاة.. بعد العصر.. قبل الشروق..

يعني أوقات النهي لم أكن أعلمها.. لكن ظللت أصلي..

أحس سعادة عظيمة في الصلاة..

كنت لا أتوقف عن الصلاة..

كنت مرتاحا جدا وسعيدًا جدا جدا..

حتى رسخ في قلبي أني أعبد الله هكذا على المنهج الصحيح

وكنت ساعتها قلت لأهلي خلاص ووالدتي قالت لي اعمل اللي يريحك واللي أنت شايفه..

الحمد لله ربنا يسر الأمور جدا..

وكان نزولي المسجد للمرة الأولى يوم جمعة..

ولله الحمد..

منذ نزلت لصلاة الجمعة وقلبي تعلق أكثر بالمسجد وأرجو أن أكون صادقا في قولي هذا

لكن هنالك صعوبات قابلتني..

وهي جهل الناس بالدين وهذا آذاني كثيرا..

أنا تعلمت ديني وكنت لا أطبق غير القرآن والسنة

رغم ذلك كان هناك من يغضب من ذلك.. بسبب الجهل واجهتني مشاكل كثيرة في هذه النقطة..

لكن مع ذلك كنت فرحا بالصلاة «كنت بأحب السجود أوى»

أذكر في مرة كنت أصلي فى المسجد وسجدت فأطلت في السجد قليلا وبعد ما انتهيت وجدت رجلا يرفع صوته لإطالتي في السجود

لما طبقت أشياء كثيرة في السنة هاجمني كثير من الناس وقالوا متشدد

فكنت أرد عليهم وأقول.. «لو أنا متشدد فى حب الله ورسوله فأنا راضي».

***

الإسفنجة

قال.. أنا لا أريد الإسلام !! الإسلام يعني.. لا تشرب لا تزني.. يطلب منك الصلاة.. صعوبات وتعقيدات..استسلمنا كالذى يفكر فى موضة جديدة..الشيطان يعرض علينا سبل النار على أنها تقليعة جديدة..

خروج عن النسق واختيار شيء جديد..

ولو كان الكفر بالله تعالى..!

انتهت محاضرة أحد الدعاة..

فأقبل عليه من بين الناس شاب اسمه خالد كان يبدو في الثلاثينيات من عمره..

سلم وفي عينه خزانة أسئلة.. ثم همس..

- أريدك في موضوع يا شيخنا إن أذنت..

- تفضل..

قالها الشيخ ظنا أن الأمر لن يتجاوز دقيقتين أو ثلاثا..

ركب معه السيارة..

فوجد عالما من البوح بين يديه ينطق على لسان خالد الذي تسارعت أنفاسه وتناثر العرق على جبينه ثم استجمع قوته وقال:

- أريد أن أحكي لك قصتي

- ما هي ؟

استأنف خالد حديثه المجروح وقال:

- تخرجت في الثانوية وحصلت على منحة كنت أنتظرها كثيرًا للدراسة فى أمريكا..

فقد كانت الدنيا ضيقة عليَّ هنا وأنا بجوار أهلي..

وهنا بدأ الدمع يرافق حروفه.. فجأة !

ثم استأنف قائلا..

- كنت لا أساوي شيئا عندهم.. لا قيمة لي..

أعيش على هامش اهتماماتهم

كانت تلك المنحة نافذة الهواء التي أتنفس منها بعيدا عنهم..

سافرت أحمل حقيبتي وتحملني أحلامي إلى بلد الأحلام..

سافرت إلى أمريكا بلد الأحـلام.. أحمل دهشتي المتلهفة من هذا العالم المنفتح..

بدأت دراستي متحمسًا مدة ثلاثة أشهر.. ثم انطفأت..

وصرت متلهفا ومتحمسا إلى كل منكر كنت محروما منه

زلت قدمي وبدأت أتعاطى بعض أنواع المخدرات والماريجوانا..

وزادنـي استخفافًا بالكبائر وشجعني عليها أننا كنا

مجموعة من الشباب الخليجيين نقيم فى مكان واحد
نسكر ونشرب المخدرات ليل نهار..
طفنا بجميع أنواع الفجور التي يمكن أن تطوف برأسك
بحثًا عن وهمٍ اسمه السعادة ..
مللنا.. لا جديد..
بعد مرور عامين جلست مع الشباب وقلت لهم..
لابد لنا من تجديد.. نريد يا شباب شيئا جديدا لنفعله
فرد أحدهم بلسان متلعثم تفوح منه رائحة الخمر..
وش رأيكم نجرب دين جديد !!
فضحك الجميع حتى البكاء..
دين أيش اللي تبى (يعني تريد) يا مخبول
وبعد بعض لحظات من الصمت استفقت قليلا وقلت
بجدية.. نحن مسلمون
فقال.. وأنا لا أريد الإسلام !!
الإسلام يعني لا تشرب لا تزني.. يطلب منك الصلاة..
صعوبات وتعقيدات..
وش رأيكم نتنصر !
استسلمنا كالذي يفكر في موضة جديدة

الشيطان يعرض علينا سبل النار على أنها تقليعة جديدة..
موضة جديدة.. عالم جديد..
خروج عن النسق واختيار شيء جديد ولو كان الكفر بالله..!
بالفعل اتفقنا على التنصر والذهاب إلى أقرب كنيسة..
صيد ثمين من الشباب الخليجي المسلم أبناء المجتمعات المحافظة..
يطرقون باب كنيسة يريدون التنصر بإرادتهم
رحب القسيس بنا..
ولبسنا الصليب !!
كنا نذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد.. ظللنا هكذا سبع سنوات حتى مللنا..لا جديد..
صرنا نذهب إلى الكنيسة يوم الأحد باكرا.. لنتعرف على طالبات المدارس الثانوية اللائي كن يذهبن في ذلك التوقيت ونصطحبهن بعد خروجنا من الكنيسة إلى مكان إقامتنا.. ونشرب المخدرات معا ..
ظللنا هكذا مدة..حتى افتُضِح أمرنا وعلم به القسيس فقام بطردنا من الكنيسة

عدنا إلى البيت نحمل بؤسنا كأنه رماد في أفواهنا ..
حياة بائسة جدا..كلها اختناق ومحاولات لا تنتهي لتجربة أي جديد ..
لا يهم ماذا يكون.. المهم أن يكون جديداً..
حتى نطق الشيطان في داخلنا.. اعبدوني !!
فقال له الشيخ مقاطعا:
- ماذا ؟! تعبدون إيش !
أكمل خالد الكلام والعرق يغمره:
- نعم ياشيخ عبدنا الشيطان ..
- كيف هذا ؟
سأله الشيخ !
بدأ الشرح من خالد يوضح كيف عبدوا الشيطان
تأذى الشيخ كثيرا من الكلام من صدمته واحمر وجهه وسأل خالدا السكوت..
رجع خالد إلى حديثه الأول وقال:
- قامت الجامعة بفصلنا تماما لانقطاعنا عن الدراسة..
توقفت البعثة.. أما أنا فلم أتوقف..
قرر أصحابي الرجوع إلى السعودية.. وأنا قررت

الذهاب إلى الهند..

فى رحلة البحث عن جديد.. لأتعلم هناك السحر !!

كنت سمعت عن بلدة مشهورة بالسحر هناك.. جلست شهرين أتعلم السحر

ثم رجعت بعدها إلى السعودية..

قدر الله الذي ابتعدت عنه طويلا يا شيخ أن يكون رجوعي بين يدي رمضان بأيام

التقيت أصحابي الذين كانوا معي وقد مللنا كل شيء..

وقررنا تجربة جديدة تماما..

قررنا الانتحار !!

ولكن كيف سننتحر ؟!

هذا ما كان يشغلنا..

اتفقنا على الطريقة والمكان والزمان..كان شيطاننا حاضرا بارعا في مقترحاته

قلنا.. نتقابل رابع يوم من رمضان ونتجمع في أحد الطرق السريعة..

نركب سيارة واحدٍ منا ونقود بأقصى سرعة ولا نتوقف حتى تتوقف الحياة فينا..

حتى أقبل رمضان في أول يوم منه سبحان الله استيقظت كعادتي من النوم قبل المغرب

أهلي طبعا لا يعلمون أني لست صائما

قمت فجلست معهم على مائدة الطعام وكان والدي قد دعا صاحبا له ليفطر معنا..

كان شيخًا كبيرًا في السن..

جلسنا فطعمنا.. وبعد الإفطار..

أذن العشاء من مسجد قريب منا..

فقال لي هذا الشيخ الكبير.. يا خالد قوم يا وليدي نتوضأ لصلاة العشاء ..

فقلت له.. روح أنت ما لك دعوة بي

فرد علي بإصرار.. لا.. هاتقوم تصلي

قلت له متعجبا من إصراره.. أنا ما بصليش

قال لي.. هاتصلي

قلت له لأحبطه.. أنا ما صمت اليوم..كيف أصلي ؟

فأصر وكأنه لا يسمعني ولا يهتم بما أقول

قائلا.. هاتصلي

قلت له: طيب أنا جنب ولست على طهارة

وهو لا يزيد على كلمة.. ها تصلي

قلت له غاضبا ولم أطق الاحتمال.. روح يا شيخ أنا مش مسلم أصلا !!

وهو على إصـراره الغريب كأن هناك من يُنطقه ويسخره لي..

مش هسيبك وهتقوم معايا تصلي

إصرار لم أر مثله في حياتي !

فقلت له بلهجة فيها تراجع.. طيب طيب

وفي نفسي أن أتركه في المسجد وهو يصلي وأمشي دون علمه..

فطاوعته.. ذهبت معه..

دخلنا المسجد وكان الإمام يصلي ويقرأ أواخر سورة المؤمنون من قول الله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾..... إلى آخر السورة في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾.

كانت الآيات تكلمني أنا.. نزلت لي أنا

هكذا شعرت ساعتها.. هزتني بعواصفها العظيمة

كأني أسمع الله الآن !

وفي داخلي أقول..
يا رب لا.. لَمْ تخلقنا عبثا.. نعم يا رب أنت خير الراحمين..
أتغفر وأنا كافر ؟ أتغفر وأنا ساحر ؟
بدأ جسمي ينتفض انتفاضة عظيمة..
سقطت على الأرض مغشيا علي من هول الآيات وجلالها
خرج اثنان من الصلاة وذهبا بي إلى البيت
كان سقوطي هذا بداية نهوضي وقيامي من جديد..كان سقطتي قيامتي
ومن يومها يا شيخ وأنا ما تركت الصلاة ولا العبادة والحمد لله
هنا انتهى الكلام.. ونزل خالد من السيارة..
يقول الشيخ..
بعد مرور أربع سنوات كان عندي محاضرة بعد صلاة المغرب فى نفس المسجد الذي قابلت فيه خالد..
وجدت شابا حسن السمت يأتي ويسلم علي.. وقال لي.. أتذكرني ياشيخ ؟
فاعتذرت وقلت.. لا والله..
فقال له أنا فلان صاحب القصة الفلانية

قال الداعية: أنت خالد؟

فقال الشاب.. نعم أنا خالد

فقال له الشيخ.. يا مرحبا..

أنا عندي الآن بعد العشاء محاضرة في مخيم قريب من هنا.. تأتي معي ؟

فوافق خالد بدون تفكير

ذهب مع الشيخ وبدأ الشيخ المحاضرة وقد كان أجلس خالدًا بجواره

وبعد المحاضرة أشار الشيخ إلى خالد فجأة وقال.. وسأترككم الآن مع كلمة للشيخ خالد

بهت خالد !

وقال متلعثما.. لست بشيخ ولا عندي علم لأتكلم بين أيديكم

لكن سأقول لكم باختصار..

قلبك هذا الذي في صدرك مثل الإسفنجة.. إن تركتَه وسط صحبة سوء وذنوب ومعاصٍ سيتشربها.. وإن تركته وسط صحبة صالحة طيبة تفعل الخير سيتشرب الخير

هذا ملخص حياتي كلها.. وسكت.

أسئلة الخوف ؟؟

لم يكن عندي إجابة.. كنت فى صراع نفسي عنيف.. قررت ان أقرأ أكثر وأفهم أكثر.. لم أكن أعرف من أين أبدأ ؟؟ وقلت سأقرأ ما يكون أمامي..!

ولم يكن القرار سهلا أبدا.

صديقي سيف..

اسم لمع في عيني وسط ركام الأسماء في السوشيال ميديا..

نشيط في دعوته.. جذبني إليه الصدق..

اتصلت به لأجده في مقر مجلة ممكن..

كان مديرا عامًا لها..

ذهبت إليه أحمل شغف سماع قصته..

لم أكن أعرف من قبل أنه لم يكُن مسلما..

سلام دافئ ووجه بشوش وشاي ساخن وجلسة جميلة في شرفة المكتب..

- إزاي ؟!

كان هذا سؤالي له..

تبسم وقال..

- وُلدت في عائلة نصرانية متدينة.. فنشأت محبا لديني حتى صرت شماسا..

كنت دائما معلقا بالكنيسة..

وكنت أحب كل ما له علاقة بديني..

وكنت شديد النهمة في مطالعة الكتاب المقدس كأني أستحضره كله مع صغر سني في ذاك الوقت.. كان عمري ستة عشر عاما.... كان عقلي كالدينامو.. كثير السؤال كثير الشغف.. عن الله وصفاته والعقيدة التي أحملها وما فيها..

كل تفصيلة كنت أعرضها للسؤال..

ومع صغري إلا أن هذه الأسئلة فتحت لي بابا كبيرا في عقلي فبدأت رحلة البحث..

وطبعا أنت تبحث فتتوقف فتسأل من تثق في علمه.. لكن كانت الإجابات دوما باهتة.. قوالب صماء..

لا تريح قلبي ولا تقنع عقلي..

عن المسيح وطبيعته وهل كان بشرا أم كان إلها..

وجدتني أميل إلى أنه نبي عظيم أرسله الله لهداية الناس..

أحسست أن في هذا قناعة لي..

كل هذه القناعات وأنا بعيد عن الإسلام والقراءة له.. حتى إن نسختي الخاصة من الكتاب المقدس كانت مليئة بما يدل على بحثي وقناعاتي..

كل كلمة فيها ربنا يسوع..كنت أضع خطا على كلمة «ربنا»

كنت في تلك الفترة شماسا يشغلني الشأن اللاهوتي وحسب وكنت مؤهلا أن أكون قسيسًا فى الكنيسة ..

لم يكن يشغلني دراسة أو أي شيء آخر.. إنما هو العزم على دخول كلية لدراسة اللاهوت..

كل هذا وأنا بعيد عن الإسلام تماما..

في يوم أذكره وأنا أقرأ الكتاب المقدس في القداس على «الشعب» أي الناس الجالسين في الكنيسة..

أحسست لأول مرة اضطرابا نفسيا وأنا أقرأ «ربنا يسوع المسيح»

كنت أحس أني أخالف ما أعتقده وما أقتنع به..

هل أقولها.. أم أقول يسوع المسيح؟؟ «واللي يحصل يحصل»

لكن قلت طالما القسيس سيكون جالسا والناس

يسمعون فسأقرأ نص الكتاب كما هو..

وبدأت فعلا في القراءة حتى إذا جئت عند كلمة «ربنا يسوع المسيح» أحس أن لساني قد أصابه الخرس..

الكلمة لا تخرج رغما عني.. لا أستطيع قراءتها !

سبحان الله..

أكملت دون قول كلمة «ربنا».. وأقول فقط «يسوع المسيح»

لم يلحظ أحد من الجالسين..لكن القسيس لاحظ ذلك فجاء بعد القداس وسألني:

- إيه فيه إيه ؟ مالك ؟! بقالك فترة بتسأل أسئلة كتيرة جدا والنهاردة تعمدت كذا مرة لما تيجي كلمة ربنا يسوع المسيح تمسح كلمة ربنا تماما ومتقولهاش وتقول يسوع المسيح ؟!

هكذا قال الأمر صراحة !

لم يكن عندي إجابة..

كنت في صراع نفسي عنيف!

واكتفيت بأن أقول له:

- أبدا.. محتاج راحة شوية

يومها قررت أن أقرأ أكثر وأفهم أكثر.. القراءة بصيرة..
بدأت أشتري كتب الشيخ أحمد ديدات رحمة الله عليه وبدأت أفهم المسألة جدا..
بعدها تقريبا بسنة.. أحضرت مصحفا وتلك كانت أول مرة أحضر فيها مصحفا ..
اشتريته من مكتبة جوارنا.. وقررت أن أرى ماذا فيه !
هنا لم أستطع أن أفوت على نفسي سؤاله عن شعوره وهو يمسك المصحف لأول مرة وهو ليس مسلما..
فقال لي:
- كنت خائفا جدا.. لا أدري لماذا ؟ أحس أني أمسك شيئا كبيرا جدا.. وخائف أن يراني أهلي به أو أحد من أصحابي..
وأنا «مش عارف ده إيه واللي جواه إيه وهيخاطبني إزاي وهفهمه ولا لأ»
لقد كنت أسمع أن المسلمين كانوا يذهبون في يسر ليتعلموه.. لكن الأمر كان صعبا جدا علي.. هنالك رهبة.. سبحان الله..
خبأته حتى أتى الليل وخلوت بنفسي وأغلقت الباب..

وقرأت..

طبعا لم أكن أعرف من أين أبدأ.. من البداية أم من النهاية ؟؟

فتحته وقلت سأقرأ ما يكون أمامي..

وسبحان الله فتحت المصحف على قوله تعالى..

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾

سورة الفرقان (٦٣)

مين عباد الرحمن؟ ويعني إيه هونا ؟

غمرني القرآن وغمرتني الدموع.. معان كبيرة لا أفهمها.. لكن هناك راحة كبيرة جدا لم أذقها من قبل !

جذبني بكل قوة.. بدأت أتعمق بقوة فى القراءة وبدأت أفهم القرآن أكثر..

لم يكن القرار سهلا أبدا..

قرار التمسك بهذه الراحة والتشبث بهذا النعيم.. لا أدري ماذا سيفعل أهلي وأنا شاب صغير ؟

لكن سبحان الله..

ذهبت تلك المخاوف وكان ربنا قد قدر للأسرة كلها الرحمة .. أسلمنا جميعا.. وكانت البداية القرآن.

مش فاكر الفاتحة..!

دخلت المسجد.. وجدت أعـدادًا كبيرة من الناس.. كنت متعجبًا من هيأتهم وصورتهم.. شباب مثلي وفي نفس سني يحرصون على الذهاب إلى المسجد

هاهنا أنفاسي أكثر راحة..

أنا شخص آخر داخل المسجد.

خرج محمد من بيته لممارسة يومه المعتاد..

الذهاب إلى الجامعة ومقابلة أصحابه للجلوس على القهوة مثل كل يوم يقضون أوقاتهم في شرب ما يريدون وشرب أعمارهم..

وبعد انتهائه من الجامعة التي كانت بالنسبة له مقهى كبيرا وليست مكانا للعلم.. يذهب إلى العمل وبعد العمل يعود مرة أخرى إلى المقهى..

فجأة لمعت في ذهن أحدهم فكرة وصاح:

- ماتيجوا نطلع إسكندرية

وافقوا مع علمهم أن ليس معهم ما يكفيهم من المال ليغطي نفقاتهم

لكنها الموافقة التي تهتم بمجرد الخروج والتنفيس.. ليس المهم بعد ذلك التفاصيل ..

المهم.. «نقضي يومين حلوين نعمل فيهم كل حاجة»

وكل حاجة هنا ضع أمامها كل ما يخطر ببالك من السلوكيات والتصرفات التي حتى قد لا تخطر على بالك..

نخرج ونلتهم العمر ونقتحم كل حرام وندوس عليه بكل ما أوتينا من قوة .. المهم «نعيش لنا يومين حلوين»

سافروا.. والتقوا بسمسار سألوه أرخص شقة في الكون لأن المال لم يكن كثيرا

فقال لهم وهو يطالع أعينهم الجائعة:

- عندي شقة لقطة لكن فيها مشكلة واحدة..

- مشكلة إيه ؟

قال لهم

- فيها غرفة محروقة !

- محروقة محروقة !

وافقوا دون تفكير.. وبدأت الرحلة..

رحلة البحث عن كل خطيئة ينقبون في منجم الكبائر والآثام بلا فتور بكل قوة وجوع ورغبة في التعدي ونهمة إلى الحرام

لكن لم تكن الدنيا على هواهم.. ماذا فعلوا ؟ ذهبوا

فجلسوا عند بير مسعود على البحر..

محمد ممسك بالجيتار يلعب عليه وكان هنالك شباب يقفزون في البئر..فجأة كالأفلام .. خرج شاب من البئر وقد أمسك في يده شيئا غريبا مفاجئا

ترك محمد الجيتار وشده هذا الشيء الغريب وقام لينظر إليه باهتمام شديد..

وإذا بهذا الشيء .. فروة رأس إنسان غرق رماها البحر في البئر !!

سمع محمد الرسالة في نفسه وكان لها دوي شديد من الخوف والفزع الذي أطار عنه كل رغبة في اللذة..

هكذا الإنسان بعد أن كان وكان.. يصير إلى لا شيء يقذفه البحر إلى أي مكان..

الأسئلة تتوالى في نفس محمد وبداخله يتصاعد نداء فزع.. يااارب.. يارب رجعني من السفرية دى .. يارب والله هتغير ..

ولم يكن هذا الصوت المخيف يترك محمدًا أبدا..

ولكنه كان مجرد صوت بداخله..

وجسده مستسلم مع أصحابه يبحث معهم كأنه مسير

عن الحرام

أحيانا يفقد الإنسان السيطرة على نفسه وأعظم أسباب هذا المحيط الذي حول الإنسان.. الصحبة

استسلم وذهب معهم ليبحثوا عن بناتٍ يقضون ليلتهم معهن.. ومن حوله وهو معهم في السيارة التي يركبونها صوت الأغاني الصاخبة المرتفعة

وفي يده سيجارة يتراقص دخانها أمام عينيه..

لكن في وسط هذا الضجيج والضحكات المجنونة والأغاني العالية.. كان ذلك الصوت الذي في أعماقه أعلى!

يقول.. «يارب ارجع بس»

لم يجدوا فرائسهم في هذه الليلة ورجعوا خائبين إلى الشقة وناموا

هل كانت خيبةً ؟ أم دعوة مجابة ؟

هل كانت خيبة أم رحمة الله ؟

أسئلة جعلته ينام بنصف عين ونصف رأس من التفكير والخوف الغريب.. مضت ليلة الأسئلة والخوف..

واستيقظ الشباب صباحا وتشاجروا بشكل غريب جدا

كأن هنالك من أخذ عليهم عهدا أن يبذلوا كل طاقتهم في الخلاف والشجار !

كانت غرابة الشجار أنهم أصحاب مقربون جدا من بعضهم وكل منهم «صاحب صاحبه»

لكن كأن عقولهم ذهبت عنهم وتشاجروا شجارا شديدا اقترب أن يكون اشتباكًا بالأيدي على شيء هم لم يختلفوا بسببه قبل ذلك أبدا وكان جيب كل واحد منهم جيب صاحبه..

تشاجروا على المال !

«السفرية دي معقربة»

هكذا أحس محمد وقرر فورا الرجوع إلى القاهرة وجهز حقيبته ليمشي حتى لا يخسر صداقة أحد من أصحابه..

قالوا له في استسلام غريب.. استنى إحنا كمان هنمشي.. السفرية دى أصلا مش ماشيه معانا زى ما إحنا عاوزين..

ونزلوا كلهم وسلموا الشقة للسمسار .. لكن الشيطان كانت له حيلة أخرى..

وهم سائرون سمعوا أصواتا كأنها «خناقة»

توجهوا ناحية الأصوات المرتفعة ووجدوا شبابا

يعاكسون بنات في غاية الجمال..طبعا أخذتهم الحمية والشهامة المفاجئة ولم يسكتوا.. البنات حلوين !

ذهبوا واصطنع واحد منهم أنه ضابط واستطاعوا أن يصرفوا الشباب الآخرين وخلا لهم الجو مع صيدهم الفاتن..

غير أن البنات قد أعجبتهن الشهامة المزعومة.. لكن كان عجيبًا أن محمدًا يجد نفسه مصرا على الرجوع إلى القاهرة..

شيء غريب !

البنات اللائي كنا نبحث طوال ليلنا عنهن، ها هن أمامنا.. بس لازم أرجع

هكذا قرر محمد.. واستجاب له البقية إلا واحد قرر البقاء وعدم ترك تلك الفرصة من يده.. وفعل كل ما أراد مع البنات رجع محمد إلى حياته وعمله الذي كان معتادا عليه..

خف صوت الخوف وخفت الأغاني الصاخبة.. حتى في أوقات الأذان !

لا يغلقها مثل الناس !

في ذلك اليوم دخل على محمد صاحبه عمرو..

ياااااه.. لقد تغيرت يا عمرو..!

عمرو كان زميله في نفس الفصل بالمدرسة وهم صغار..

لكنه اليوم فيه شيء غريب..شيء يبدو واضحا لمن كان يعيش في قلق البعد والحيرة..

كان وجهه بشوشا مريحا ناطقا بأنه إنسان متصالح مع نفسه

قطع هذا التفكير صوت عمرو وهو يقول لصاحبه القديم:

- محمد إيه اللي انت عامله فى نفسك ده ؟

فرد محمد مستغربا ودافع عن نفسه دفاعا هو نفسه غير مقتنع به:

- ماتشوف نفسك إنت اللي اتغيرت ! أنا يا عم زي ما انا..!

كلام طويل من العتاب والضحك.. انتهى بأن دعاه عمرو لشيء يبدو هو الذي جعله بشوشا متصالحا مع نفسه..

ماتيجي نصلي يا محمد

سكت محمد.. «ياه.. مرت عليَّ أوقات كثيرة لم يعرض عليَّ أحد هذا العرض.. أصلي» !

هكذا قال في نفسه.. ثم وجد نفسه يقول لصاحبه.. يللا..

بعد «الشغل» عاد محمد إلى البيت.. لم يذهب إلى «القهوة» لأنه كان متشاجرا مع أصحابه

يستعرض الأيام كلها في مشهد بانورامي.. الإسكندرية.. الخوف من مشهد فروة الرأس التي قذفها البحر.. الصوت الذي كان يسمعه في قلبه..

عمرو الذي لم يره من سنين وأخذته دوامة الدنيا عنه.. ثم فجأة قذفه البحر أمامه !!

يسأل نفسه: هو ليه عمرو جالي فى الوقت ده؟ ليه خفت؟ ليه معرفناش نعمل اللي إحنا عايزينه في إسكندرية؟

هنالك سر..

فجأة قام فتوضأ وقرر أن يصليَ..

فرش سجادة الصلاة،كأنما يفرش قلبه معها

يااااااه.. لم أصل من زماااان

ثم وقف مستقبل القبلة وقال..

الله أكبر.. وبدأ يقرأ سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين...

ويقف..

ويكرر الآيات مرة أخرى ليس خشوعا ولا تأثرا..!
لكنه اكتشف أنه نسي الفاتحة ولم يبق منها إلا هذا في ذهنه !!
الفاتحة !!
كانت كارثة عظيمة الأثر على قلبه !
لقد ابتعدت طويلا حتى إني نسيت الفاتحة !
حاول كالذي يحفر بأظافره في صخرة أن يتذكر !.. لا فائدة.. طوفان من الألم يغمر قلبه.. من الخجل.. من الحسرة والألم ..
أحس أنه عارٍ من كل شيء ومن كل معنى ومن كل قيمة..
أحس أنه تافه جدا جدا
اختنق وهو يرى نفسه في هذه الحال
قطع الصلاة وانفجر في البكاء.. وهو يقول:
- معقولة أكون نسيت سورة الفاتحة !!
الأطفال الصغار يحفظونها !! وأنت لا تحفظها !
سكاكين تتناثر على كل جسده ألما وحسرة..
لا يدري كيف مرت الساعات عليه..
لكنه وجد نفسه في اليوم التالي.. ذهب إلى العمل

مختنقا.. جاءه عمرو واصطحبه معه للصلاة..

فنثر محمد قلبه وجعل يفضفض مع صاحبه عن كل ما أصابه بالحزن والهم والضيق.. أنا مخنوق وكاره نفسي..

يقولها بصوت مختنق.. ودمعة جافة! مكسوف جدا من نفسي.. مكسوف من ربنا أوي.. وعمرو يخفف عنه وشيئا فشيئا.. بدأ يستريح

تمر الأيام..

ومحمد في العمل يمر عليه أصحابه الذين كانوا معه في سفرة الإسكندرية ويسألونه..مختفي ليه ؟!

إنت لازم تيجي معانا النهاردة.. إحنا اتعرفنا على بنات من لبنان جايين أجازة هنا فى مصر وعددهم كبير ولازم تيجي معانا !

الغريبة أنه كالمسحور وافق فورا..

فجلسوا معه في العمل حتى انتهت ورديته ليأخذوه معهم

ينتظر زميله الذي سيستلم منه العمل

تأخر على غير العادة.. لا يرد على الهاتف..!

طيب يا جماعة اسبقوني أنتم وأنا هحصلكم.. هكذا قال لهم..

وصل زميله متأخرا، فاتصل فورا بأصحابه وسألهم.. أين أنتم ؟

قالوا في المقطم.. المقطم ؟!

بعيد جدا.. وليس معه مال سوى ثمن علبة السجائر ولو ركبت تاكسي فلن يبقى معي مليم

طيب ماتيجوا تعدوا علي وتاخدوني..

ياعم لسه هنمشي كل ده تاني.. اتصرف

ذهب إلى البيت ولم يذهب إلى أصحابه وجلس متحسرا على تلك الفرصة..

في الليل وجد اتصالا من أحد أصحابه يخبره أن الشرطة داهمتهم و«اتبهدلوا» لولا أن واحدا منهم كان خاله ضابطا كانت ستكون مشكلة كبيرة

سبحان الله..

هو في إيه ؟! بيسأل نفسه !

مصر إني أبعد وربنا سبحانه وتعالى كريم أوي معايا..

الأيام تتوالى والاتصالات من أصحابه تتوالى لكن هذه المرة فلان يشكو من فلان وفلان يشكو من فلان..لماذا ؟

بسبب بنت !!

تأفف محمد وقرر الابتعاد عن هذه البنات لا لله لكن لكي لا يخسر أحدا من أصحابه..

«جدعنة»

تذكر عمرو.. فاتصل به وحكى له..فقال له:

- إيه رأيك تخرج معايا يوم الخميس اللي جاى ؟

ضحك محمد وقال له ساخرا:

- هتخرجني فين بس ياعم الشيخ إنت أخرك تروح المسجد

فرد عمرو وقال له:

- آه هنروح المسجد

فضحك محمد وقال له.. وهي دي خروجة برضو ؟! ما المسجد جنبنا أهوه

فقال له عمرو:

- هنروح مسجد فى المعادى وهتنبسط إن شاء الله بس عاوز منك طلب صغير ممكن ؟

فقال له محمد:

- إيه تاني ؟

قال له.. عاوزك لو سمحت تصوم اليوم ده وأنا هعزمك

على الفطار

الغريبة أن محمد صام وذهب فعلا يوم الخميس..

وجد أعدادا كبيرة من الناس كان متعجبا من هيأتهم وصورتهم.. أنا ماكنتش عايش ولا إيه ؟! هكذا يقول لنفسه!

شباب مثلي وفي سني ويحرصون على الذهاب بأعداد كبيرة للمسجد..

أحس أن هنالك حياة أخرى أفضل وأجمل بكثير.. هاهنا حتى أنفاسي أكثر راحة.. أنا شخص آخر داخل المسجد

أذن المغرب.. أفطر على تمر..كان التمر عاديا لكنه كان جميلا جدا..

لقد أصبح يذوق الأشياء بقلبه..جلس الشيخ ليعطي الدرس بعد المغرب.. محمد لا يصغي للكلام..محمد مشغول بالصورة.. مشغول بطعم المكان في قلبه.. برائحة المكان في روحه.. ما هذا الأنس ؟ ما هذه السكينة ؟ ما هذا المكان ؟

أنا فرحان.. فرحان جدا !

الشباب شكلهم يفرح..كل شيء في المكان يبعث الفرحة بقوة.. انتبه فوجد الشيخ ينهي الدرس ويدعو..

محمد يقول.. آمين.. آمين.. آمين

أحس أن كل آمين هي جناح مَلَك يرفعه إلى السماء..

آمين آمين آمين والبكاء ينهمر من عينيه..

أحس أنه واقف أمام رب العالمين وأنه سبحانه يحاسبه على كل حياته السابقة..

وهو يبكي نادما.. متألما.. مستغيثا.. تائبا.. مرتجفا..

محبا لله.. الذي آواه وحفظه وصانه مع أنه كان يصر على المعصية ويصر على البعد ويصر على الهجر..

انتهت الدعوات.. وهو يقول آمين آمين آمين.. ولم تنته الدموع.. يحس أن الدموع لن تنتهي حتى تغسله ولا تبقي فيه أي ذنب.. صلى العشاء.. أحس أنه خفيف النفس.. خفيف الروح.. لقد كان يحمل جبالا على قلبه وكتفه..

أحس بالحب.. بالرحمة.. بالنور وبفرح غامر..

أحس أنه يريد احتضان الناس كلهم بين جناحيه..نعم لقد صار طائرا !

أحس أنه ولد من جديد..

وأسلم من جديد.

ليلة المطر..

هناك أمر ما تحدثه الصلاة في الإنسان.. كأنها ترغمه أن يكون أكثر سكينة وسلاما وبشاشة.. مستحيل أن يخرج إنسان من الصلاة بين يدي الله يسمع كلام الله ويسجد لله ويناجي الله.. إلا بأحاسيس فياضة.. لا وصف لها..خليط من السكينة والطمأنينة والجمال والراحة..

تتغير ملامح القلب وملامح الوجه.

مؤمن.. شاب ككثير من الشباب الذين كانوا بعيدا.. ثم قربهم الله سبحانه وتعالى..

عرف معنى الحياة.. معنى أن يجد الإنسان في قلبه حلاوة..وفي روحه سكينة

وكان ككثير من الشباب في بيت عادي..

وأهل يخافون من أي تحول له علاقة بالدين يطرأ على قلب ابنهم.. مشكلة كبيرة..

يعلم مؤمن أن من بركات الخير أن يحرص الإنسان على أن يذوق من حوله ذلك الخير..

ويجدوا طعمه وحلاوته في قلوبهم.. برفق دون صدام أو تشديد..

الأهل كانوا واقعين تحت خطاب «الميديا» والذي يرسخ أن ترك كثير من الأشياء التي نعتقد أنها عادية

كالتدخين وغيره.. تطرف يبث في قلوبهم القلق

ومالك يابني وإيه اللي حصل لك..كلمة معتادة كانت تقال له..وكان يبتسم ويترفق..

كان معتادا على الصلاة في مسجد بعيد عن البيت..

كان إمام هذا المسجد حسن الصوت جميل التلاوة..

وكـان مؤمن يعين نفسه بهذا على حضور القلب والخشوع قدر ما يستطيع..

الصلاة هنا جميلة أوي.. لها طعم.. وفيها حياة.. هكذا كان يقول لنفسه ويجد بركة هذه الحياة..

عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم.. أرحنا بها يا بلال..

ومن ذاق عرف.. ومن عرف طمع في أن يعرف غيره..

الجمال لا يستطيع الإنسان كتمانه ومن أحب أحدا أحب أن يسعدوا مثله..

طمع مؤمن في قلب أهله.. يارب يحسوا بما أحس به..

كان أهله غير راضين عن تلك الصحبة الجديدة التي صارت حول مؤمن.. كان يتعجب..

ويتساءل..كنت أمشي مع أصحاب يبتعدون عن الله

ويفعلون كل شيء وأهلي لم يكونوا معترضين !

وزاد الأمر.. يابني بلاش الدروس اللي انت بتروحها دي..

طيب سمعتم ما فيها؟ عرفتم ما يقال؟ كل ما ارتبط بالمسجد ليس شرا..

وليس كل من تكلم في الدين متطرفا أو نصابا..

أنا تغيرت فعلا.. وحياتي صارت أرحب وصدري صار أوسع وروحي صارت أكثر سلاما

كان يوم مؤمن يبدأ بالفجر ثم يجلس بين يدي الأذكار من الورقة الخضراء التي نعرفها كلنا

يصل البيت وفي وجهه أثر صلاته..

هناك أمر ما تحدثه الصلاة في الإنسان..كأنه ترغمه أن يكون أكثر سكينة وسلاما وبشاشة

مستحيل أن يخرج إنسان من الصلاة بين يدي الله يسمع كلام الله ويسجد لله ويناجي الله.. إلا بأحاسيس فياضة.. لا وصف لها..

خليط من السكينة والطمأنينة والجمال والراحة..

تتغير ملامح القلب وملامح الوجه..

فكر في أن يترك ذقنه.. لكن أمه كانت تخاف عليه..

فرأى من البر أن يرفق بها ويطمئنها..

وأجَّل هذا القرار..

وهو يدعو بحب جميل لأهله بالهداية والطمأنينة..

لكن كان هناك شيء يخبؤه عن أهله.. لأن هذا الشيء كان يغضبهم ويثيرهم ضده..

كان يجعل يوم إجازته من العمل يوما لحضور درس لشيخ فى المسجد دون أن يخبرهم..

إخبارهم معناه مشكلة لا داعي لها..

«أنا خارج مع أصحابي» هكذا كان يقول عندما يخرج للدرس..

لم يكن يكذب لأنه يعتقد أن الذهاب إلى حلقة الذكر في المسجد أجمل خروجاته وأسعدها

رجع يوما من الـدرس وعنده قدر هائل من الرضا والطمأنينة.. شيء لا يوصف..

لابد أن يذوق أهلي ما ذقته..

فليكن إذن.. سأخبرهم وأحاول أن يكونوا معي..

فور وصوله البيت قبَّل يد أمه وبسمة على وجهه وأخبرها أنه كان في المسجد..

كان ردها.. لا تذهب مرة أخرى..

طيب يا ماما ممكن حضرتك تيجي معايا تشوفي بنفسك وقرري وهسمع كلامك

لم تقتنع.. عرف أبوه بعد رجوعه.. قذفه بزجاجات البيت وصوته كان مسموعا في الشارع كله..

ومؤمن ساكت..

أوى إلى سريره ونام بقلب معصور من الحسرة والضيق..

لكن لم يمسه سأم أو يأس.. كان يحسن الظن بربه.. وأنه تعالى سيجبره.. ويقر عينه بهم ويستجيب دعاءه لهم

قرر.. لابد إني آخذهم في سكتي معايا..حسن من معاملته معهم جدا.. رفق وحنان وبر وحب..

لكن كان يتعبه لبس أخواته البنات.. لا يدري كيف يحل هذه المشكلة..

لا يملك غير الدعاء.. ومع الدعاء كان يدخر من مرتبه البسيط قدرا من المال

ثم فاجأ أخواته وقال.. أنا جايبلكم هدية !

خذوا هذا المبلغ واشتروا به قماشا وفصلوا ثيابا جديدة.. بس معلش هذه المرة تكون واسعة وترضي ربنا إن أذنتم

كان رد الفعل رائعا..فرح أخواته البنات جدا بهذا الأسلوب ..

فتحمس وأحس أن باب الإجابة فُتِح وجعل يكلمهن عن الله ويريهن بأعماله تغيره للأفضل..

وبلسان المحب قال.. بقول لكم إيه.. معلش تعالوا معايا.. والبسوا اللبس الجديد..

خرج بأمه وأخواته البنات معه إلى الدرس في المسجد..

مسجد صغير.. لكن عدد الحاضرين كان كبيرا..

وكان بجوار المسجد «جراج» أذن صاحبه أن يفرشه الناس ليكون مصلى لهم عند تزاحمهم يوم الدرس..

كان الحصير يغطي أرضية «الجراج» يوم الدرس..

بدأ الدرس وفي أثنائه.. أمطرت السماء..

مؤمن وأخواته بالخارج..

اتصل بأمه .. وهي مع النساء في مصلاهن

وقال لها.. يللا علشان المطر يا ماما..فردت عليه ردا غريبا..

لا يا ابني.. انا قاعدة وهكمل الدرس.. أنا حاسه إني مرتاحة أوي !

كانت السماء تمطر.. وعين مؤمن كذلك..

الفرح غمره بالدمع وجعل يحمد الله تعالى كثيرا..

تحول المطر في قلبه إلى مهرجان سعادة وأحس بالنعمة العظيمة..

كانت ليلة المطر ميلادا جديدا لحياة أخرى مغايرة لما كان..

وما زال مؤمن يريد إطلاق لحيته.. وأمه تقول له.. يابني الإيمان في القلب مش بالشكل.. كعادته أطاعها واستمسك بالبر والدعاء..

تمر الأيام ويأذن الله أن يعينه فيصنع لأمه مفاجأة..

مش في نفسك كده يا ماما تزوري بيت الله الحرام..

أطلت من عينها فرحةٌ أعادتها طفلة بين يديه من السعادة!

وكان هو سعيدا جدا لفرحها..

قرب معاد السفر وأمه طلبت منه حلق لحيته قبل السفر..

فقال لها.. نفسي يا أمي أقف بين يدي الكعبة بلحيتي الصغيرة دي..

وافقت على شرط أن يحلقها فور رجعوهم..

سافرا محرمين.. وكان مؤمن شديد البر بأمه..

رجع من العمرة فوجد أمه هي التي تحضر له مفاجأة

وتقول له..

ماتحلقش لحيتك تاني يا ابني !

كانت هدية العمر بالنسبة له.. اللحية عنده معنى.. وليست مجرد شعرات في الوجه..

ومع هذا قطع في سبيل ذلك شوطا من حسن الخلق والبر لكي لا يكون الدين شكلا فقط

ولا أنسى أن أخبركم..!

أن كل إخوة مؤمن الذكور ملتحين الآن.. وكل أخواته منقَّبات.

***

الكيس الأسود

ضاقت بي الأرض وظللت وقتي كله أصلي وأدعو وأبكي لعل الله تعالى ينجيني.. حضرتني الصلاة.. حضرني وجه أبي المتعب وظهره المحني..حضرتني آيات القرآن في مدرستي الأزهرية..فقبحت في عيني جدًّا تلك الشهوة..

كل موصول بالصلاة آمن.. وكل من قصد الله آمن.

كريم شاب فقير من أسرة تجد قوت يومها بالكاد من كدِّ رب الأسرة الذي يعمل حارس عقار

يقول كريم..كنت أكبر إخوتي ولي أربع أخوات

كان يسكن العقار أسرة ميسورة الحال يمتلكون محلا شهيرا وعندهم ابنة وحيدة اسمها سحر..

كنت أحبها منذ الصغر حب الطفل لشيء جميل.. أو كما يقولون.. حب ابنة الجيران !

لكنها في الحقيقة ليست ابنة الجيران.. هي تنام على سرير فاخر وأنا ابن الغفير..

كان أمرا مرا على النفس أحاول نسيانه..

كان حبي لها يعريني أمام فقري الذي كنت أهرب منه..!

لم أزل أذكر الكيس الأسود في يد أبيها يدخل به علينا.. يعطينا بواقي الطعام التي تركها الزبائن

كنت أرى الكيس فأختنق.. كأنما هو كيس يلتف حول عنقي..

كنت أدرس منذ الصغر فى مدارس أزهرية.. أجلس مع أصحابي وأحمل في قلبي الشعور بالدونية.. فأنا ابن البواب..

ظللت أحمل هذا الألم حتى الثانوية.. مات أبي..

الآن تضاعف الألم والذل في نفسي..لأني صرت البواب رسميا

فهذا هو ميراث أبي الوحيد.. الحراسة.. وكومة من البنات وأمي..

كنت أرفض ذلك العمل كارها إياه..

لم يكن يهون علي إلا وجود سحر حبيبتي.. ونافذتي الوحيدة التي أطل منها على أحلامي..

العمل شاق.. بدأت أذوق ما كان يذوقه أبي رحمه الله وأشفقت عليه وأنا أتذكر صورته محني الظهر.. يكتم ألمه ليقيت أهله..

ينام أمام العقار طوال الليل بجسده المتعب على فرشته الخشنة الغليظة..

ويقوم ليصلي الفجر ثم يعود مسرعًا ليمسح سيارات السكان ويشتري لهم الجرائد قبل نزولهم إلى أشغالهم

لم أكن أقدر على هذا كله.. أو لم أكن أريد عمله..

كنت أتأفف وترى أمي وتسمع كراهيتي للعمل..

كل ما يصبرني نظرات مختلسة لسحر وهي عائدة بسيارتها من الجامعة

وفي يوم وجدت أمي تنادي عليَّ من خارج غرفتنا التي كانت تحت السلم..

خرجت وإذا بكيس الألم..كيس الوجع !

كيس الذلة الأسود فيه بقايا الطعام في يد والد سحر..

وأمي تقول لي.. بص يا كريم أهو الأستاذ أبو سحر جايب لك شغلانة عنده في المحل

رددت فقلت.. شغل إيه ؟

قالت.. توصل الطعام للزبائن.. وأهو تطلع لك بقرشين حلوين من البقشيش..

قلت لها.. طيب وشغل العمارة ؟ مين هيعمله ؟

فقالت.. يابني ماهو أنا إيدي فى إيدك أهوه.. وكمان الشغلانة دي هتكون بعد الظهر

لم يكن بيدي حيلة.. فوافقت ظنًّا مني بأن هذا العمل قد يقربني من سحر بصورة ما..

في أول يوم كان رئيسي في العمل عم رضا..
رجل بشوش طيب البسمة ذو لحية صغيرة..
يعاملني مثل ابنه فكان يغفر لي أخطائي الكثيرة التي كانت في بداية العمل لقلة خبرتي..
كان أعظم ما فيه أنه لا يؤخر صلاة عن وقتها أبدا
عندما علم أني كنت أزهريًّا فرح جدا.. ولكنه كان يعاتبني كثيرا على تقصيري في صلاتي..
عم رضا أقنعني أن أبي ما زال حيا !
فبدأت أفضفض معه لأزيح عن كتفي ما أحمله من هم وألم..
وتعرفت على بعض زملائي فى العمل ومن بينهم شاب كان كثير الكلام عن البنات..
وبدأ يتقرب مني ويحكي لي عن بعض الزبائن من النساء وأخلاقهن وثيابهن لاسيما فلانة وحياتها المتسيبة
وكان راتبي ضئيلا وكان البقشيش يجبر قلته..
لكن نفسي المجروحة كانت لا تتركني وتذيقني الألم عندما أجد أحدهم يمد يده بالبقشيش أو يعاملني بمهانة..
كنت أرجع لأبي.. عم رضا..
أحكي له فيصبرني..

كان يقول لي.. أهم حاجة في أي شغل يا كريم يا ابني الأمانة

في يوم ما جاء صاحب المحل وقال لي.. روح البيت دلوقتي حالا فى مشكلة فى الكهرباء وخد معاك كهربائي..

ذهبت مسرعا ومررت على الكهربائي فى طريقي لكني لم أجده

فذهبت أنا بنفسي..صعدت إلى الشقة.. طرقت الباب..

تسألني الخادمة وهي تفتح.. فين الكهربائي يا كريم ؟

أخبرتها أني لم أجده وقمت بإصلاح العطل وشكرتني سحر وكانت كلمتها عيدا لي

ورفضت أخذ أي مقابل ورجعت إلى عملي

شكرني والد سحر في اليوم التالي..

وفي طريق عودتي من العمل لمحت خادمتهم تتوقف عند محل من محلات الذهب.. !

فتوقفت.. أحسست أن هناك شيئا ما.. فدخلت المحل لأرى ماذا تفعل هنا..؟

فور رؤيتها لي ارتبكت !

كان فى يدها خاتم تريد أن تبيعه.. أعرف هذا الخاتم جيدا..آه لقد رأيته في يد سحر من قبل..

فسترتها وقلت للبائع كأني قريب لها.. لا داعي لقد غيرنا رأينا

وخرجنا من المحل وسألتها بحزم..

انتي بتعملي إيه هنا ؟

انتي اتجننتي !! ارتبكت..

أخذت منها الخاتم قائلا لها.. أنا هتصرف

رجعت إلى العمارة وذهبت إلى شقة سحر..

وطرقت الباب وفتحت لى سحر الباب

فقلت لها.. وجدت هذا الخاتم بجوار سيارتك..تفضلي..

فرحت جدا وشكرتني..

وكنت سعيدًا أحمد الله أني كنت سببًا في رسم الابتسامة على وجهها ولو لمرة واحدة !

هذا أقصى ما أحلم به..

تمر الأيام ويكون نصيبي أوردر أوصله لفلانة سيئة السمعة..

ذهبت فإذا هي تخرج لي بثياب شفافة..

أخذت الطعام وسألتني عن اسمي..بطريقة ماكرة..

فقالت لي.. ثواني يا كيمو وهاجبلك الفلوس..!

تأخرت علي قليلا..

وفجأة سمعت صوتًا غريبًا من داخل المنزل.. هرولت وهي تنادي.. الحقني..!

فإذا بها تدعي أنها سقطت وقد ظهر شيء من جسدها..

فأعرضت وأعطيتها ظهري

حضرتني الصلاة.. وصوت عم رضا.. حضرني وجه أبي المتعب وظهره المحني.. حضرتني آيات القرآن في مدرستي الأزهرية..فقبحت في عيني جدا تلك الشهوة وسقطت تلك المرأة بمكرها من عيني كأني صرت حجرا..

الحجر يكون رائعا عندما ينبت في أرض العفاف.. رقيقا بالخشية لكنها لما رأتني قطعة حجر صرخت نكاية في.. حراااااامي

فخرج الجيران ليمسكوا بي وهى تدعي أني حاولت سرقتها !

كأنها تريد الانتقام من شخص لم يضعف أمامها..

اتصلوا بالشرطة..جاءت الشرطة وأخذتني إلى القسم..

علم صاحب العمل بما حدث..

اتصلت به تهدده بالتشهير به وبمحله..

كنت أنا وأمي وإخوتي في كيس أسود أمام بقية الزبائن !

كنا بقايا لا قيمة لنا عنده..فطرد أمي وإخوتي من البيت..

وأعطاهم مهلة يومين..كان هذا ابتلاءً عظيما علي أمي التي سعت بي إلى هذه الوظيفة لتخفف عني.. صرت سبب نكبتها وطردها

كان الألم يعضني وينهش قلبي..

لا ندما على تعففي.. لكن ألم العجز والحسرة والجوع للكرامة

جاءني عم رضا ليزروني.. عرف مني حقيقة ما حدث..

صبرني وذكرني بالله..

حبسوني أربعة أيام على ذمة القضية..

ضاقت بي الأرض وظللت وقتي كله أصلي وأدعو وأبكي لعل الله تعالى ينجيني..

خفت منه وإني لأظن فيه أنه سيكتب لي الأمن..

ذهب صاحب المحل إلى بيته منفعلا وحكى لابنته وزوجته ما حدث..

كانت الخادمة تسمع ما يقال عني.. حرك الله قلبها..

فاستترت بالليل ودخلت في هدوء على سحر وباحت لها بقصة الخاتم..

ورجتها أن تسامحها.. وأن تتدخل لإنقاذي..

هرولت سحر إلى والدتها تقص عليها الأمر.. وفي الصباح

ذهب صاحب المحل إلى قسم الشرطة ومعه ابنته سحر..

تفهم المسئول هناك الوضع لاسيما وكل زملاء كريم يشهدون له بالصدق والنزاهة.. وزبائن المحل الذين كانوا عاملوه..

يبتسم كريم وهو يقول مستحييا..

صحيح أن سحر كانت الحبيبة وكانت سببا لابتسامتي..

لكني عرفت أن الله لا يخذل عبده..

يكون معه.. يحفظه.. يحوطه بحنانه ورحمته ولطفه في ظلمات الشدة..

الحمد لله ..

رجعت مرفوع الرأس.. سقطت عني آلامي النفسية أمام هذه المحنة..

شعرت من جديد أن والدي حي.. لقد صدقت نصيحة عم رضا لي ..كان اسما على مسمى

لقد صب هذا الرجل في قلبي سكينة.. عرفت بعدها سببها..

كل موصول بالصلاة آمن..وكل من قصد الله آمن..

ربنا كريم جميل.. لقد ذقت أنا أيضا طعم اسمي أحببته.. ربنا كريم جميل.

فهرس الموضوعات

إهداء ٥

تقديم ٦

معرفتش أقول لأ.. ..... ٧

ليه أقابل ربنا وأنا خايفة ؟ ٢٣

كشك محروس ٣٥

٢١ يوما..! ٤٥

مش عايز غلطة ! ٥٩

الإسفنجة ٦٩

أسئلة الخوف ؟؟ ٨١

مش فاكر الفاتحة..! ٨٩

ليلة المطر.. ..... ١٠٥

الكيس الأسود ١١٥

مُسْلِم بالبِطَاقَة

مسلم!
كلمة تصحب أسماءنا في هويتنا الشخصية.. لكنها ربما هربَتْ منَا في دروب الحياة، حتى تأتي لحظة كاشفة تعرِّي ضعفَنا، وتعلمنا معنى هذه الكلمة الشريفة، ذلك الوصف الذي رحمنا الله به.
هنا كثيرٌ من النفوس والوجوه والمواقف التي عاشت ذلك "الغياب" المُوحش، ثم عادت لتحكي لنا عن جمَال الحضُور الذي كَان ميلاداً جديداً للروح والقلب.. والحياة!

محمد جعباص
طالب فى الجامعة الامريكية الإسلامية المفتوحة .. حاصل على بكالوريوس نظم معلومات إدارية.. قدم العديد من البرامج الدينية المختلفة منها :
برنامج على فين يا صاحبي ؟ ..
برنامج فاهم مش حافظ ..
وبرنامج أوصني.

تصميم الغلاف كريم آدم

ISBN 978-977-806-060-7

دون